

عالمية



روايات

مهم الجريمة

Inspector
Maigret
And The
Burglar's
Wife



مليسا

روايات

عالمية

العدد رقم ٢٧٣

عشق الہدیہ



تالیف
جوزیج نیسمیون
ترجمہ
السید وفائی

الفصل الأول

كلف الحاحب المعين مكتب المفتش ميغريه ، تسليمه طلبا بتحديد موعد للمقابلة ، وكان هذا الطلب محررا طبقا للتعليمات ويجرى نصح كما يلى :

ارنستين ميكو ، المعروفة باسم « لوفتى » (والآن ارنستين جوسيوم) ، والتي القيت القبض عليها منذ سبعة عشر عاما بشارع «لالون» تلتبس تحديد موعد للمقابلة ، لأمر مستعجل بالغ الأهمية .

وبنظرة خاطفة من طرف عينه تأمل ميغريه ، جوزيف الشيخ ، لعله يستطيع أن يتبين من ملامح وجهه ، ما اذا كان قد أطلع على الرسالة التي تقدم بها اليه وفهم مضمونها . ولكن الرجل الأشيب ، وقف جامدا لا يحرك ساكنا . هذا الرجل الذى قد يكون الوحيد من بين جميع رجال ادارة الأمن العام . الذى لم يتحلل من ملبسه الرسمية ، ويرتدى القميص فى الصباح الحار ولأول مرة بعد تلك الأعوام الطويلة ، يتساءل كبير المفتشين عن سر تلك الاوامر الغريبة ، التي تضطر مثل هذا الرجل الأشيب الوقور لأن يحمل هذه السلسلة الثقيلة بذاك الخاتم الضخم حول عنقه .

كان اليوم ، من تلك الايام التي يجدها المرء مناسبة ليسرح فيها بخياله فى آفاق من الفكر ، حيثما شاء وكيفما طاب له . . وقد يرجع ذلك الى حرارة الجو ، وقد يرجع أيضا الى الشعور الذى يتملك النفس فى موسم الاجازات ، مما يباعد بين المرء وبين حملة للامور على محمل الجسد . . وكانت نافذة الحجرة ، التي دخلها جوزيف منذ لحظة ، مفتوحة على مصراعها ، لينفذ منها الهواء مع ضوضاء باريس البعيدة . وقد جلس المفتش ميغريه يشغل وقته بتأمل فراشة حائرة تطير فى دائرة واحدة لا تخرج منها . وكان كل ما فى المكان يوحى بتراخى الكسل . فها هو ذا قسم المباحث قد تفيب عنه أكثر من نصف رجاله ، بين راحل الى

الريف ، وبين مسافر الى شاطئ البحر . وها هو ذا لوكاس ؟ قد خرج ليجول واضعا على راسه قبعة من القش هي اقرب ما تكون الى مظلات المصاييح منها الى قبعات الرجال ، حتى المدير العام هو الآخر ، قد رخل فى اليوم السابق الى جبال البيرينيز كعادته فى كل سنة .

وأخيرا سال ميجرية الحاجب ، وهو يضع الطلب بجانبه :

— أهى مخمورة ؟ .

— لست اظنها كذلك يا سيدى .

لانه كان يعلم ان مثل هذا الصنف من النساء اذا ما أفرطن فى تعاطى الخمر . وجدن أنفسهن مدفوعات لاماطة اللثام عن أشياء كثيرة وعن أمور لا حصر لها .

— نائرة الأعصاب ؟ .

— عندما سألتنى هل سيطول بها الانتظار ، وأجبتها بأننى لست متأكدا حتى من مجرد موافقتك على مقابلتها ، سحبت مقعدا جلست عليه فى ركن من غرفة الانتظار ، وبدأت تقرا فى صحيفة يومية كانت معها .

وحاول ميجرية ان يذكر شيئا عن هذه الأسماء : ميكو . . او جوسيوم . . او لوفتى . عندما استعاد لنفسه ذكرى يوم حار فى شارع «لالون» نقل طقسه برائحة الأسفلت الذى لان تحت اقدام الراجلين .

وكان ذلك ، بالقرب من بورت سانت دينيس ، فى شارع صغير تقوم على جانبيه بعض الفنادق التى تحوم حولها الشبهات وبعض الحوانيت الصغيرة لبيع الحلوى . ولم يكن ميجرية حينئذ قد رقى بعد كبيرا للمفتشين . وكان قد كلف تحرى أمر فتساة تتنقل بين البارات ، واضطره الأمر أن يتنقل هو الآخر بينها . . ويتعاطى فى جولته هذه بعض كؤوس من شراب «البرنو» . وانه ليكاد يشعر فى جلسته هذه برائحة هذا الشراب تنفذ الى أنفه ، وقد اختلطت برائحة العرق فى هذا الخان الصغير . . وعلى قدر ما تستطيع ذاكرته ان تحمل اليسه ، كانت غرفة هذه الفتاة فى

الطابق الثالث أو الرابع . وهو يذكر أيضا انه أخطأ بابها في أول الأمر ، حيث وجد نفسه وجهها لوجه أمام أحد الزنوج ، الذي كان يجالس على حافة فراشه يلعب على الأكورديون . والذي عندما عرف بفيته ، أوما برأسه الى باب الغرفة المجاورة لفرفته .
- ادخل ! .

كان الصوت الداعي صوتا أجش ينم عما كان للخمر وللتدخين من أثر فيه ووجد صاحبة الصوت واقفة بجوار نافذة حجرتها المطلة على الساحة ، بقدها المشوق ملتحفة برداء أزرق ، تعد لنفسها الطعام على موقد صغير .

وما ان رآته أمامها ، حتى فحصته بنظراتها من قمة رأسه الى أخمص قدميه ، في ثبات وبرود . وبعد أن انتهت من ذلك قالت له دون مؤاربة :

- شرطى ! اليس كذلك ؟

ولم يجيبها بشيء ، لانه كان مشغولا بالنظر الى الحافظة وأوراق النقد التي لمحاها فوق الدولاب الموجود فى الفسرفة . ولاحظ انها لم تحرك ساكنا . وكل ما علقته به على ذلك كان يقولها :

- هذا يخص احدى صديقاتى !

- ومن تكون ؟

- لست أعرف لها اسما غير « لولو » .

- وأين تكون ؟

- هذا ما يجب عليك أن تصل اليه . ان عملك يبدأ من هنا !

- البسى ملابسك الخارجية فورا ، لانك ستأتين معى .

كانت الجريمة جريمة نسل عادية ، الا أن الإدارة كانت توليها اهتماما خاصا بالنسبة لشخصية المجنى عليه ، وليس بسبب ضخامة المبلغ المسروق ، الذى كان فى الواقع مبلغا كبيرا فى نفس الوقت .

- ليس بوسعك ، ولا بوسع إدارة الامن العام كلها ، ان

تحول بينى وبين تناول طعامى !

ولم يكن بالحجرة غير مقعد واحد . فاضطر أن يظل واقفا على قدميه ، فى انتظار أن تنتهى من تناول طعامها ، الذى كانت تتناوله على مهل . متجاهلة وجوده .

كان سن هذه الفتاة حينئذ ، لا يتجاوز العشرين ربيعا .

وكانت شاحبة الوجه ، باهتة العينين ، زائفة النظرات . وانه ليراها الآن ، بعد أن فرغت من تناول طعامها ، مائلة أمام عينيه تعد لنفسها قدحا من القهوة .

- لقد طلبت منك أن ترتدى ثيابك .

فقد بدأ يضيق ذرعا بكل شيء . . بحرارة الجو . . وبرائحة المكان . . وبتمهله المتعمد . . وبها هي أيضا .

- انى انتظر ! .

قالها فى حدة بعد أن نفذ صبره ، وقد أشاح بوجهه عنها .
- ان ماتقوله عن الأمر بالقبض على ، لا يهمنى فى كثير او فى قليل . كما اننى لست مضطرة أن اعاونك فى تنفيذ ما لديك من أوامر .

وانه ليذكر ، انه قد طلب منها غير مرة ، أن تعدل عن العبث وأن تنهض وتسرع بارتداء كامل ثيابها . كما يذكر انه قد سلك كل مسلك فى سبيل حملها على ذلك ، من تهديد ووعيد ، الى اقناع والحواس فى الرجاء . غير أن ذلك كله ، لم يحرك منها ساكنا ولم يحملها على أن تفلح عما هى فيه . الأمر الذى اضطره أخيرا أن يذهب لطلب بعض رجال الشرطة للاستعانة بهم . مما اتقلب معه الوضع بعد ذلك ، الى مشهد من مشاهد الكوميديا ، عندما اضطر شرطيان أن يحملوا الفتاة ويهبطا بها من الدرج الضيق ، فى وقت تفتحت فيه جميع الأبواب على الجانبين ، لتستكمل مناظر هذا المشهد الطريف .

ولم يقدر له أن يلتقى بها بعد ذلك ، أو أن يسمع عنها شيئا . وبعد أن استعرض لنفسه كل هذا ، قال للحاجب :
- دعها تدخل ! .

وما أن دخلت عليه ، حتى عرف انها بطلة تلك القصة القديمة
ولاحظ انها لم تتفسر كثيرا . فقد كانت هي بوجهها الشاحب
المستطيل ، وبعينيه الباهتتين الزائفتين ، ويفنمها الكبير الساخر
كما تبين من عينيها : تلك النظرات الهادئة الساخرة ، التي لا تراها
الا في نظرات كل من صادف في حياته الكثير ، فهانت عنده
بعد ذلك الحياة وكل ما فيها من شئون .

وكانت ترتدى ثيابا بسيطة ، وتضع فوق راسها قبعة من
القش الأخضر ، كما تضع يديها في قفازين عاديين .
- هل مازلت تذكر ما حدث منى ؟ -

فسكت ولم يعقب . والتزم الصمت مواصلا تدخين غليونه .
- هل تأذن لي بالجلوس ؟ لقد سمعت عن ترقيتك . وأظن
أن هذا هو السبب في عدم لقائنا مرة أخرى . هل تسمح لي
بالتدخين ؟ -

ثم أخرجت من حقيبتها لفافة تبغ أشعلتها في هدوء كعادتها .
- أريد أن أبدا حديثي معك ، بأن أخبرك بكل صراحة ، بأنني
كنت أصدقك القول ، عندما قررت لك ، في لقائنا الأول ، بأنه لم
يكن لي شأن بهذه النقود المسروقة التي وجدتها عندي . وعلى
الرغم من ذلك . فقد حكم علي بالحبس سنة لجريمة لم ارتكبها
وكفرت بذلك عن جريمة غيري . لأن تلك الفتاة التي كانت تدعى
بلولو ، هي فعلا المسئولة عن ارتكاب هذا الحادث . ولكنك لم
تكلف نفسك عناء البحث عنها للتحقق مما قلته لك فليكن . . .
- وماذا كان من أمرها بعد ذلك ؟ -

- انها تدير الآن مطعما صغيرا . ان هذا الأمر لم يترك في
نفسى أى اثر . فقط أردت أن أبين لك ، ان كل انسان معرض لأن
يجانبه التوفيق في هذه الحياة .
- امن اجل هذا كان مجيئك ؟ -

- لا . . . فقد حضرت لما هو اهم من ذلك واجل . لقد حدثت
لأتحدث اليك بشأن الفريد . وما أظنه اذا علم بذلك ، الا معتصدا

اننى قد فقدت عقلى . وكان بوسعى ان الجأ لبواسييه ، الذى
يعرف عنه كل شيء .
- ومن هو الفريد هذا ؟ .

- انه زوجى . زوجى قانونا وشرعا . لانه ممن يواظبون على
التردد على الكنيسة . ومع ذلك فقد وقع فى قبضة بواسييه غير
مرة . وحكم عليه بالسجن خمس سنوات فى احدى هذه المرات ،
ثم ازداد صوتها خشونة وهى تستطرد قائلة :

- ان اسم جوسيوم قد لا يعنى عندك شيئا . ولكننى اذا
ما اخبرتك باسم شهرته فستعرف حتما من هو الفريد جوسيوم .
لقد كتبت الصحف عنه الكثير . انه فريدى الحزين .
- لص الخزائن ؟ .

- نعم هو .
- وهل تشاجرتما ؟ .

- لا . . ان مجيئى الى هنا لم يكن لمثل هذا . ولست ممن
يتوجهن لمكاتب الشرطة من اجل هذه الصفائر . ليكن . . . هل
عرفت الآن من هو فريدى ؟ .

الا ان ميجرية لا يذكر انه سبق له ان التقى بهذا الرجل . .
اللهم الا اذا كان ذلك عرضا فى دهاليز الادارة ، اذا ما تصادف
وقوف هذا اللص ، فى انتظار استجوابه بمعرفة بواسييه ، وتمثلت
امام عينيه صورة غير واضحة المعالم لرجل ضئيل الجسم . ساهم
النظرات ، فى ثياب تبدو فضفاضة على جسمه الصغير .

- وطبيعى ان تختلف نظرة كل منا له .
بذلك اخذت تواصل حديثها :

- يا للمسكين ! ان له نواحي اخرى غير ما قد يجول بخاطرنا
عنه . لقد عشت معه حوالى الاثنى عشر عاما ، اتاحت لى ان
افهمه على حقيقته .

- واين هو الآن ؟ .

- صبرا . وهل جئت الا من أجل ذلك ! اننى لا أعرف اين هو الآن . ولسكننى اعرف انه فى مازق . وان ما تردى فيه لم يكن عن خطأ ارتكبه . ان كل ما ارجوه منك ، ان تثق بى . وان كنت أعلم اننى بذلك اطلب الكثير .

لقد بدأ فعلا يهتم بما تقول . ورأى فى طريقة حديثها وفى بساطة لهجتها ، ما يدعو له لان يستمع اليها . انها لاتحاول التأثير عليه او تمويه الحقائق فى عينيه . وان كانت لم تصل بعد لللب الموضوع ، فان ذلك قد يرجع الى أهمية ماتريد الافضاء به او الى شدة خطورته .

كما انها كانت تشعر بأن هناك حاجزا بينها وبينه ، وانها بحاجة الى ان تحطم هذا الحاجز ، وقبل ان تفضى اليه بما تريد الافضاء به ، حتى يصدقها فيما تقول ولا يسئ فهم ما تعنيه . أما فريدى الحزين ، الذى لم يسبق لميجريه ان احتك به فى اثناء عمله ، فانه يعلم عنه اكثر مما تعلمه عنه الجهات الرسمية . فقد كان للرجل شهرة خاصة فى عالمه ، حاولت الصحف ان تستغلها ، وأن تجعل منه بطلا قصصيا من أبطال الخيال .

فقد بدأ عمله بمؤسسة بلانشار لصناعة الخزائن ، واستمر يعمل بهذه المؤسسة عدة أعوام طويلة ، حتى اصبح من اكثر عمالها كفاية ومهارة . وكان يبدو بين زملائه ، حزينا منطويا على نفسه . كما عرف عنه الجميع ، اعتلال صحته وتعرضه من وقت لآخر ، لنوبات من الصرع والإغماء .

أما الظروف التى انتهت بهذا الرجل الى ان يترك عمله بمؤسسة بلانشار ، فقد رأى ميجريه انه يحسن به الاستفسار عن ذلك من بواسييه .

ومهما يكن من أمر هذه الظروف ، فمما لاشك فيه انها انتهت به أخيرا ، الى ان يتحول من صانع للخزائن الى محطم لها . - وهل كان الفريد مستقرا فى عمل معين ، عندما التقيت به لأول مرة ؟ .

- لا . الا اننى لم اكن السبب فى انحرافه عن الطريق المستقيم

كما قد يتبادر الى ذهنك . ولم اكن اعلم فى اول الامر شيئا عن حقيقة عمله . ثم علمت اخيرا ، وشيئا فشيئا ، حقيقة امره .
- لم يكن من الأفضل أن تقابلى بواسييه فى هذا الشأن ؟ .

- هذا اذا كان الامر يتعلق بجريمة من جرائم السطو . اليس كذلك ؟ ولكن اذا كان الموضوع متعلقا باحدى جرائم القتل ، فانا اظن ان هذا من اختصاصك ؟ .

- وهل ارتكب الفريد جريمة قتل ؟ .

- سيدى كبير المفتشين . ما اظن الا انك ترغب فى أن تنتهى من هذا الامر فى اقصر وقت ممكن . ولن يكون ذلك الا اذا اعطيتنى الفرصة لمواصلة حديثى . من حقاك ان تمنعت الفريد بما تشاء من اوصاف . ولكن الشيء الوحيد الذى لا يمكنك أن تمنعته به ، والذى أرجو أن تتأكد منه ، هو أنه ليس بقاتل ، وهو أبعد الناس عن التفكير فى ارتكاب هذه الجريمة ، حتى ولو دفعت له كل أموال العالم . وقد يبدو لك هذا أمرا شديدا الفرابة بعيد الاحتمال ! الا أنه الواقع الذى لاشك فى صحته . وذلك لأن فريدى انسان مرهف الحس ، رقيق الشعور هل تتبعنى فيما اقول ؟ . اننى انا وحدى من تعرف ذلك عنه خير المعرفة . فقد عاشرتة أعواما طويلة وعرفته على حقيقته . ان غيرى يقول عنه انه انسان رقيق ضعيف ، فاذا كان كذلك حقا ، فان هذا هو بالذات ما جعلنى أحبه .

ثم أخذت تتأمله فى هدوء . وكان ميجريه قد لاحظ انها عندما نطقت بكلمة الحب ، لم تنطق بها بتلك اللهجة التى تضىء عليها ماله من معانى التعاطف والود والحنان ، بل نطقت بها بلهجة المعتنى بشخصية المعنى بها المقدر لصاحبها .

- لو اتيح لك أن تلمس ما تنطوى عليه نفسه ، ما دهشت مما اقول . . انك لا تعرف عنه ، الا انه لص محطم للخزائن . وانه أودع السجن لمدة خمس سنوات لثبوت التهمة عليه فى احدى تلك المرات التى قبض عليه فيها . اننى لم اتخلف مرة واحدة عن

زيارته في الأيام المحددة للزيارة عندما كان سجيناً . ولقد كنت
أخاطر بذلك ، لأننى لم أكن أحمل تلك البطاقة التى كانت تعضى
التعليمات بضرورة حملها .

- لكم تمنى ان يقوم بتحقيق صفقة ضخمة ، نخلد بعدها
للراحة ونستقى بها فى الريف . ولقد علمت منه أن هذا الحلم
كان يراوده مد كان صبياً .
- وأين تقيمان ؟ .

- فى غرفتين تقعان فى أعلى أحد المقاهى بناحية رصيف
« دى جيماب » أمام هويس « سانت مارتان » . . هل عرفت
المكان ؟ . ويمتاز هذا السكن بالتليفون الموجود بالمقهى .
- وهل الفريد موجود هناك الآن ؟ .

- بالطبع لا . . لقد قلت لك اننى لا أعرف اين يوجد . وأرجو
أن تصدقنى . . لقد زاول نشاطه فى ليلة قبل الليلة الماضية .
- ثم هرب بعد ذلك ؟ .

- مهلاً يا سيدى المفتش ! . ستعرف كل شىء اذا صبرت
قليلاً . انك تسمع طبعاً عن هؤلاء الذين يواظبون على شراء أوراق
اليانصيب القومى قبل كل سحب . الا تعرف ذلك ؟ . ولعلك
تعرف أيضاً ان الأمر قد يبلغ بالبعض منهم حداً يحملهم على
الاقتصاد فى أقواتهم حتى يتيسر لهم شراء هذه الأوراق . وكل
ذلك لأنهم لا يفقدون الأمل فى الفوز بجائزتها الأولى . ان هذا هو
نفس الأمر مع فريدى . . فهناك العشرات من الخزائن فى باريس
تولى بنفسه صنعها وتركيبها ، ويعرف أماكن وجودها عن ظهر
قلب . وليس من شك فى أن كل من يشتري إحدى هذه الخزائن
يشترىها ليضع فيها أمواله وجواهره .

- وهو يرجو أن يفوز بأحدى هذه الخزائن فى يوم ما ؟ .

- ها أنت ذا قد أدركت ما اعنى ! .

ثم رفعت كتفها فى استهتار ، وواصلت حديثها وكأنها
تتحدث عن نزوة طفل عايب لا ضرر من عبثه :

— الا انه كان سييء الحظ في كل مرة ! . لقد كان نصيبه في معظم الحالات ، سندات اسمية لا يمكن بيعها ، او عقود أعمال لا يمكن التصرف فيها . ولم يوفق الى مبلغ محترم الا مرة واحدة ، كان من الممكن أن يكفينا هذا المبلغ لنعيش به طوال حياتنا ، ويتحقق لنا به ما نبغى . ولسوء حظه ، كانت هذه المرة هي المرة الوحيدة التي تمكن فيها بواسييه من الصاق التهمة به واثباتها عليه ، مما أدى للحكم عليه بالسجن كما سبق أن ذكرت لك .

— وهل كان يشركك في نشاطه ؟ . كان تقوى بدور المراقبة مثلا ! .

— لا . . انه لم يكن يحب ذلك لى . لقد كان يخبرنى ، في بادىء الأمر ، بالمكان الذى سيقوم بالسطو عليه ، لكى اكون على مقربة منه فقط . الا انه اقلع عن ذلك اخيرا ، ولم يعد يطلعنى على شىء .

— حتى لا يزج بك فى الأمر ؟

— قد يكون ذلك . وقد يكون لأسباب أخرى لا يعلمها الا هو . هل تصدق انه تمر بنا أيام لا يحس الواحد منا فيها بالآخر وكأننا لا نعيش معا . وهل تصدق انه كانت تمر بنا أيام لا أسمعها فيها ينطق بحرف واحد . لطالما رأيت يقطع نفسه من الحياة بعيدا ، وكأنه يعيش وحيدا . ان كل ما كنت أعلمه عن نشاطه ، كان عندما يخرج فى الليل على دراجته .

وقد ذكره ذلك ، بما كان يعرف به الفريد جوسيوم ، وبما كانت تصفه به بعض الصحف « باللص راكب الدراجة » . لقد كانت له وجهة نظره فى ذلك . اذ كان يرى أن رجلا يركب دراجته ليلا لن يسترعى نظر أحد من الناس ، فهم سيرون فيه ، وقد تدلت حقيبة أدواته من كتفه ، عاملا متوجها لأداء عمله . اننى اتحدث اليك كما اتحدث الى صديق . لعلك أدركت ذلك من صراحتى ؟ .

وقد عاد ميجرية ليتساءل فيما بينه وبين نفسه عما دعاها لأن تلجأ اليه بالذات ، وتجعله موضع ثقتها دون غيره . ولما

أخرجت لفافة تبغ أخرى قام في هذه المرة بإشعالها لها .
- اليوم الخميس . . لقد خرج الفريد ليلة الثلاثاء الماضى . .
- وهل علمت منه انه فى طريقه لاحدى عملياته ؟ .
- لقد علمت ذلك استنتاجا . فقبل هذه الليلة بأسبوع ، كان
يخرج فى كل ليلة دون أن يحمل حقيبة أدواته . وفى ذلك ما فيه
من دلالة . لأنه كان يفعل هذا ، قبل كل مرة يقوم فيها بالسطو
على مكان ما ، ليراقب المكان ويدرس احوال ساكنيه .

- وحتى يتأكد من أن أحدا ما لن يكون فيه ؟ .
- كلا . . فهذا امر لا يهمنه فى كثير أو فى قليل . بل أعتقد
انه كان يفضل العمل فى مكان ماهول على العمل فى مكان مهجور .
فهو من هذا الصنف من الرجال ، الذى يستطيع أن يتحرك فى أى
مكان دون أن يحدث صوتا . . ولماذا نذهب بعيدا . . لطلالما عاد الى
المنزل دون أن أشعر به الا وهو فى الفراش الى جوارى .

- وهل تعلمين شيئا عن المكان الذى توجه اليه فى تلك
الليلة ؟ .

- ان كل ما أعلمه ، انه كان فى ناحية نويلى . ولقد عرفت
هذا بمحض المصادفة . . ففى اليوم الأسبق لليلة التى خرج فيها
أخبرنى مند عودتى للمنزل ، بأن رجال الشرطة قد طلبوا منه
الاطلاع على بطاقته الشخصية لأشتباههم فيه عندما كان فى
طريقه بغابة بولونى . فلما سألته عن مكان مقابلتهم له بالتحديد ،
أخبرنى بأن ذلك كان خلف حديقة الحيوان ، فى طريق عودتنا من
ناحية نويلى . وعندما خرج فى ليلة الثلاثاء حاملا حقيبة أدواته ،
أفطنت الى انه قد خرج فى طريقه الى مزاوله نشاطه بهذه الناحية .

- اليس من عادته تعاطى الخمر ؟ .
- أبدا . . لا الخمر ولا التدخين .

ثم استطردت تفسر ذلك :

- لأنه لم يكن فى استطاعته أن يقترب من الخمر . لقد كان
يعيش فى رعب من تلك النوبات التى كان يتعرض لها من وقت لآخر .

ولطالما تخجل من نفسه ، عندما كانت تهاجمه هذه النوبة في الطريق أمام جموع الناس ، فيحيطون به ويرثون لحاله . . واذكر انه قال لى وهو فى طريقه الى عمله تلك الليلة أرجو الا يخيب تقديرى فى هذه المرة . فما اظن الا اننا سنتمكن بعد هذه العملية ، من قضاء بقية العمر فى الريف ، كما كنا نتمنى ذلك دائما .

وكان ميجريه قد بدأ يدون بعض الملاحظات وهو يصفى الى حديثها . ثم سألها وهو يعبث بقلمه على الورق :

- فى أى وقت غادر ألفريد رصيف دى جيماب ؟

- حوالى الحادية عشرة . . كما كان يفعل فى الليالى الأخرى .

- يصل الى نويلى حوالى منتصف الليل .

- تقريبا . . فلم يكن من عادته ان يسرع فى سيره .

- ألم تزيه بعد ذلك ؟

- نعم . . لم أره .

- ولهذا تظنين انه قد وقع له حادث ما ؟

- لا . . فقد اتصل بى تليفونيا .

- ومتى كان ذلك ؟

- فى الخامسة صباحا من نفس الليلة . ولم يكن النوم قلا

وأتانى بعد . وذلك كعادتى فى كل ليلة يتوجه فيها الى عمله .

لأننى كنت أخشى دائما ان تهاجمه النوبة فى أثناء قيامه بعمله . .

ماذا كنت أقول ؟ . آه . . سمعت رنين التليفون فى المقهى الذى

يقع أسفل غرفتنا مباشرة . ولم يستجب اصحابه لندائه . واستمر

الرنين . . فقلت لى نفسى : قد يكون هذا النداء لى . . فنهضت

مسرعة وهبطت فوق الدرج فى عجلة . . وما ان رفعت السماعه

حتى سمعت صوته ، وأدركت من لهجته انه فى مأزق . قال فى

صوت خفيض :

- أهذه أنت ؟

- نعم . .

- هل معك أحد ؟

- لا . . أين أنت ؟

- فى مقهى صغير بالقرب من محطة الشمال . اسمعى يا تينى - بهذا الاسم كان يدعونى - ائنى مضطر للسفر بعيدا لفترة ما .

- اماذا جرى . . هل راك احد ؟ .

- ان الامر ليس كذلك . . لقد راآنى احدهم فعلا . . ولسنت ادرى ان كان شرطيا او غير شرطى .

- وهل كان ذلك بعد ان استوليت على النفود ؟ .

- لا . . لقد حدث ما حدث قبل ان انتهى من كل شىء .

- الا قل لى ماذا حدث ؟ .

- فى اثناء انهماكى فى معالجة قفل الخزانة ، سقط ضوء مصباحى على وجه فى ركن الغرفة . فخيلى الى ان هناك شخصا ما يراقبنى . فلما امعنت فى النظر تبين لى ان العينين لانسان ميت .

ثم تفرست فى وجهه ميجريه قبل ان تقول له :

- انا واثقة انه لم يكن ينطق الا صدقا . فلو كان هو القاتل!

لصارحنى ! . لن اطيل الحديث فى ذلك . . لقد شعرت وهو

يحدثنى بانه تحت تأثير رعب قاتل ، وانه يكاد يغمى عليه من هول

ما راى ، وكانى به كان ينظر حوله خوفا . . .

- ممن ؟ . ومن اى شىء ؟ .

- لست ادرى . لانه لم يكشف لى عن الامر كله . فقد كان

يتعجل انهاء المحادثة . . واخيرا اخبرنى انه سيستقل القطار

الى . . .

- الى بلجيكا ؟ .

- ربما . . ما دام اتصاله بى كان من مكان قريب من محطة

الشمال . لقد راجعت جدول مواعيد القطارات ووجدت ان هناك

قطارا يبرح المحطة فى الخامسة والنصف .

- الا تعرفين شيئا عن المقهى الذى كان يتحدث اليك منه ؟ .

- لقد قمت بجولة استطلاعية فى ذاك الحى بالامس . وحاولت

بجاهدة ان اصل لاية معلومات . ولكننى لم اوفق الى شىء . وكانى

بالقوم هناك ، وقد حسبوني زوجة قيورة تتعقب خطوات زوجها
ولذلك لم أفر منهم بشيء .
- اذن . . فكل ما أخبرك به ، انه رأى جثة فى الحجرة التى
كان يراول فيها عمله ؟ .

- لقد حاولت أن احصل منه على مزيد من المعلومات ، فأخبرنى
بأن الجثة لامرأة ، وأن الدماء كانت تلوث صدرها ، وأنها كانت
ممسكة بسماعة التليفون فى يدها .
- اهذا هو كل ما أخبرك به ؟ .

- لا . . فقد علمت منه أنه فى نفس اللحظة التى كان سينطلق
أفياها لينجز عمله بعد ان رأى ما رأى . واستطيع الآن ان اتصور
أى جال كان فيه المسكين . . سمع صوت وقوف سسيارة امام
الباب الكبير .
- وهل قال لك الباب الكبير على وجه التحديد ؟ .

- نعم . . الباب الكبير المصنوع من الحديد المطروق ، تماما
كما قال لى . ثم ترك السيارة شخص ما واتجه صوب الباب .
وما أن وصل هذا الشخص الى الممشى ، حتى أسرع الفريد بترك
المكان عن طريق النافذة .
- والحقيبة ؟ .

- تركها خلفه . . فلقد كان من عادته أن يدخل الأماكن من
توافلها ، حتى ولو وجد أبوابها مفتوحة أمامه . ومن هذه النوافل
أكان خروجه أيضا . كان يدخل من النافذة ويتركها مفتوحة ليخرج
بينها مهما كانت الظروف والأحوال .
- وبناء على ذلك فان أحدا ما لم يره ؟ .

- حتى تلك اللحظة . إلا انه بينما كان يجتاز الحديقة مسرعا . .
- اذن . . فقد كان بالمكان حديقة أيضا ؟ .

- نعم . . وبينما كان يجتاز هذه الحديقة ، لمح أحدهم واقفا
بالنافذة يتتبعه بأضواء مصباح سلطها عليه . ولا يستبعد أن يكون
هذا المصباح هو مصباح الفريد بالذات . ويعدها أسرع الفريدا

باعتلاء دراجته التي اندفع بها دون ان ينظر الى الخلف . وواصل سيره حتى بلغ نهر السين حيث القى بدراجته حتى لا تكون دليلاً عليه ، اذا ما احتفظ بها أو تركها في الطريق . ولم يخبرني بالمكان الذي تخلص فيه من الدراجة على وجه التحديد . ثم رأى بعد ذلك الا يجازف بالعودة الى منزلنا ، فأتجه الى محطة الشمال ، ومن هناك اتصل بي كما أخبرتك . وقد طلب مني الا أتحدث بشيء من كل ذلك لأحد ما . ولم يكن من رأيي أن يهرب أو يختفي ، وحاولت اقناعه بذلك بشتى الوسائل والطرق . . ولكنه أصر على رأيه منهيًا محادثته واعدًا أن يكتب الى العنوان الذي يمكن أن أتبعه اليه .

- وهل كتب اليك ؟ -

- لم يكن هناك متسع من الوقت في هذه الفترة القصيرة . وقد توجهت فعلاً الى مكتب البريد هذا الصباح ، فلم أجد شيئاً باسمي . وفي خلال الساعات الماضية ، قلبت الأمر على جميع وجوهه وقمت بشراء جميع الصحف اليومية ، فلم أجد أية إشارة بها لحادث المرأة المجهولة .

ورفع ميجريه سماعة التليفون ، ليتصل بمركز الشرطة في نويلى .

- هلو . . هنا ادارة الأمن العام . هل لديكم ما تبلغون عنه بشأن جناية قتل وقعت خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية ؟ .

- لحظة يا سيدى حتى احول الاتصال الى المكتب الجنائى .
فما أنا الا الضابط المنوب .

وانتظر ميجريه حتى تمت عملية التحويل واستطرد موضحاً :
- ألم تبلغوا بالعثور على جثة بالطريق ؟ . ألم ترد لكم بلاغات ليلية عن انتشار جثة من نهر السين ؟ .

- لا شيء من هذا القبيل يا سيدى .
وانتظرت لوفتى انهاء المحادثة في صبر نافذ ، وقد عقدت ما بين يديها ، ومالت بجسمها الى الامام ، وكأنها تستجدي في لهفة ، ما سيحمله التليفون اليها من انباء . ولما أدركت أنه لا يوجد

فى الأمر جديد ، أستأنفت حديثها قائلة :
- هل قمت بإيضاح كل شيء ؟ . وهل عرفت لماذا جئت
إليك ؟ .

- أظن ذلك .

- لقد قلت لنفسى بادية ذى بدء ، انه اذا كان أحد من رجال
الشرطة هو الذى رأى الفريد ، فستكون الدراجة دليلا عليه . ولما
علمت منه أنه ترك حقيبته قلت ان الأدلة ستتكاثر عليه وتتجمع
ضده . أما وقد أصر على الفرار - وهو الآن عبر الحدود - فقد
ازدادت الأمور تعقيدا بالنسبة إليه ، وما أظن أحدا بمصدق قصته .
وما أظنه بأكثر أمنا فى بلجيكا أو فى هولندا منه فى باريس . .
ولقد كنت أفضل أن أراه مرة أخرى فى السجن لاقترافه جريمة
السطو ، على ان أراه متهما بجريمة قتل لم يرتكبها .
- اننا أمام مشكلة جديدة ، وهى ان جسم الجريمة غير
موجود ! .

- هل يدور بخلدك أن ما سردته عليك من نسج خيالى أو من
نسج خياله ؟ .

ولم يعقب ميجريه على ذلك بشيء . فاستطردت قائلة :
- من السهل عليك ان تتعرف على المكان الذى كان بسطو
عليه فى تلك الليلة . حقيقة انه ليس لى أن أوجهك فى عمك
الا اننى واثقة انك فكرت فى هذا فعلا . ان الخزائنة لا بد ان تكون
من بين تلك الخزائن التى قام بصنعها وتركيبها من قبل . وليس
من شك فى ان مؤسسة بلائشار تحتفظ بسجل لعمالها . ولا أظن
أن هناك الكثيرين فى نويللى ممن يقتنون الخزائن .
- وهل يوجد فى حياة الفريد ، فى الوقت الحاضر ، امرأة
أخرى ؟

- آه ! : لقد كنت أتوقع منك هذا السؤال . . اننى لست
امرأة غيورة . وحتى لو كنت كذلك ، فما كنت لأحضر اليك بكل
هذه المجموعة من الأحاديث ، كوسيلة لاستعادته الى . فاذا ما كان
هذا قد تبادر الى ذهنك ، فلتعلم بأنه لا يتصل بغيرى من النساء .

لأن ذلك هو استعدادة الشخصى .
- وكيف ؟ . وماذا يمنع ؟ .

- لأن الحياة كما يراها الفريد ، ليست كالحياة فى نظر
غيره . هذا ، ولم تدع له الحياة من تصاريفها ، متسعا يتيح له
ذلك .
- هل معك نقود ؟ .

- لا . .

- وكيف ستتصرفين ؟ .

- انك تعرف اننى أستطيع ان أدبر امرى . وأحب ان أؤكد
لك اخيرا ، اننى لم أحضر الى هنا الا لأؤكد لك ان فريدى لم
يقتل أحدا .

- اذا وصلك خطاب منه ، هل تطلعيننى عليه ؟ .

- انك ستطلع عليه قبل أن أطلع عليه أنا . . انك تعلم انه
سيكتب الى على « شبك البوستة » ولذلك فانك ستراقب جميع
مكاتب البريد فى باريس . أو نسيت اننى لست بمنأى عن مثل
هذه الامور ؟ .

ثم نهضت من مقعدها ، وتأملته وهو فى مكانه من مكتبه
قائلة :

- اذا صح كل ما يقولونه عنك ، فلا أستبعد انك قد صدقتنى .
- وكيف ؟ .

- لانك اذا لم تكن قد صدقتنى ، فأنت غر أبه ا . . ولست
أراك كذلك ، بناء على ما أعهدده فيك .
- وبعد ؟ .

- هل ستتصل بمؤسسة بلائشار ؟ .
- أظن ذلك .

- وهل ستطعننى على النتيجة ؟ .

فنظر اليها ، دون أن يجيب بشيء . ولم يستطع أن يخفى
تلك الابتسامة التى داعبت شفثيه .

- على رسلك ا . لقد أردت أن أعاونك . . فانك قد تعرف
الكثير ا . غير انه لا معدى لك عن الالتجاء الى من هم على شاكلى ء
للاحاطة ببعض الامور التى لا يفهم دقائقها الا أفراد عالمنا .
وهى تعنى بعالمها ، هذا العالم الآخر فى الناحية الأخرى من
كل الحدود والقيم . . هذا العالم الذى تعيش فيه لوفتى ومن
هم على شاكلىها .

- اذا ما كان بواسييه هنا ، أيدنى فى كل ما قلت عن الفريد .
- انه فى مكتبه . . فأجازته تبدأ غدا .

ثم أخرجت قصاصة ورق من حقيبتها ، وضعتها امامه وهى
تقول :

- سأتراك لك رقم تليفون المقهى ، فقد يعنى لك ان تتصل بى
لسبب ما . . واذا ما استدعى الأمر ان تحضر لترانى ، فلا تردد
ولا تخش شيئا . . اطمئن .

ولم يتحقق ميجهريه من أنه قد صافح اليد التى مدتها اليه
الا بعد أن أغلق الباب خلفها . ولما عاد الى مقعده لاحظ أن الفراشة
لم تنزل هائمة فى جو الغرفة تبحث عن منفذ تخرج منه ، وأمامها
نافذة الغرفة مفتوحة على مصراعها . ثم تذكر أن زوجته كانت
قد طلبت اليه ان يقابلها فى سوق الزهور حوالى الثانية عشرة
اذا ما سمح له عمله بذلك . فوقف مترددا حائرا ، واتكأ على حافة
النافذة يراقب الطريق ساهما .

وأخيرا تناول سماعة التليفون بعد أن استقر رأيه على عدم
الذهاب لمقابلة زوجته .
- أخبر بواسييه أن يحضر لمقابلتى .

وهكذا دارت الأيام ، وتوالت الأعوام ، وباعدت ما بينه وبين
حادث شارع لالون الطريف . وها هو ذا قد أصبح كبيرا للمفتشين
بإدارة الأمن العام ، وضابطا من ضباطها الذين يشار اليهم بالبنان .
ومع ذلك فانه يشعر بأجنحة الذكرى تحمله الى هذا الجو الذى
كان فيه . وها هو ذا يحن الى كأس من شراب البرنو ، وتمتد

يده الى سماعة التليفون في عبث اقرب ما يكون الى عبث الاطفال .
- حلواني دوفين . . أرجوك . . الى بكاس من البرنو .
وعندئذ رأى بواسييه يفتح الباب داخلا . فعدل من طلبه
قائلا :

- بكاسين ! . بكاسين من البرنو . . شكرا .
فلما سمع بواسييه ذلك ، اهتز شاربه جدلا ، ثم اتجه صوت
النافذة وقفز الى حافتها وجلس يجفف حبات العرق ، التي كانت
تغطي جبهته .

الفصل الثانى

وبعد ان استمتعا معا بعدة جرعات من شراب البرنو ، رأى
ميجريه ان يدخل فى الموضوع مباشرة . فسأل بواسييه قائلا ،
- ماذا تعرف عن الفريد جوسيوم ؟ .

- فريدى الحزين ؟ .

- نعم . .

فزوى بواسييه ما بين حاجبيه ، وحسج ميجريه بنظرة
كلها قلق ، ونسى شراب البرنو ، فوضع كأسه جانبا ، وتغيرت نبرات
صوته وهو يسأل كبير المفتشين :
- هل قام اخيرا بنشاط ما ؟ .

انه بواسييه ، كما كان دائما ، وكما يعرفه ميجريه ، لم يتغير
ابدا . بواسييه الذى لم يكن ليرضى عن أحد من كبار المفتشين مثل
وضائه عن ميجريه ، الذى كان وحده يعرف خير سبيل للتفاهم
معه . .

ولقد كان من حق بواسييه ، أن يصبح هو الآخر كبيرا
للمفتشين ، عن جدارة واستحقاق ، منذ وقت طويل ، لولا تلك
العقبة التي كانت تقف فى سبيله دائما ، وتحول بينه وبين اجتياز
امتحانات الترقية غير مرة ، إلا وهى عدم اتقانه فن الكتابة هجاء
واسلوبا .

وقد احسنت الادارة ، عندما قامت بتعيين يشيه ، كبيرا

لمفتشى القسم الذى يحمل عبء العمل به بواسييه . فقد كان
يشبه شيخا متواكلا خاملا ، مما أتاح لبواسييه ، أن يصبح الرئيس
الفعلى لهذا القسم ، غير تارك لرئيسه الاسمى ، الا كتابة التقارير
التي كان يتقنها لفة وهجاء .

ولم يكن هذا القسم مختصا بجرائم القتل - التي كان يختص
بها القسم الذى يرأسه ميجرية - ولا بالسرققات البسيطة التي
يرتكبها رواد وموظفو المحلات التجارية الهواة ومن فى حكمهم .
لقد كان من اختصاص هذا القسم الذى يعمل به بواسييه ،
تعقب اللصوص المحترفين من كل نوع . ابتداء من لصوص الجواهر
الذين يركزون نشاطهم فى الفنادق الكبرى بالشانزليزيه ، الى
لصوص البنوك ومن فى حكمهم من امثال جوسيوم ، الى آخر هذا
النوع من السرققات الجسيمة التي تقع من لصوص محترفين .
أما تلك المعركة التي تدور بين ضباط القسم الجنائي وبين
من يتعقبونهم من مجرمين ، فمعركة تتطلب نوعا آخر من الخبرة ،
لأنها تتصل بالنفس البشرية ، وبدوافعها الاجرامية : تقوم على
دراسة انحرافاتنا وشدوذاها من الالف للياء .

ولم يكن من الامور غير العادية بالنسبة لطبيعة عمل القسم
الاول ، أن تجد بواسييه جالسا فى هدوء ، خارج احد المقاهى مع
لص من متسلقى الاسوار والبيوت ، ليتجاذب معه اطراف الحديث
على النحو الآتى :

- جيلو . . انك لم تقم بنشاط ما منذ وقت طويل .
- فعلا يا سيدى .
- منذ متى لم نتقابل ؟ .

- منذ ستة شهور فيما اظن .
- وقد نضب معين مواردك طبعا . اليس كذلك ؟ اراهن انك
لعد أمرا ما ؟ .

ولم يكن ميجرية ولا غيره من زملائه ، بمستطيع ان ينهج نهج
هذا الحديث مع أحد من القتلة الذين يقعون فى دائرة اختصاصهم .
وخاطر احتمال قيام الفريد بنشاط ما دون علم بواسييه اقام

الرجل واقعه . فلما لاحظ ميخريه ذلك منه قال له !
- لست متأكدا من ان فريدى قد قام بنشاط ما فعلا ، ان
اتم عملا من هذا القبيل اخيرا . الا ان الذى اعرفه تماما ، ان
لوفتى كانت هنا وغادرت مكتبى منذ لحظة .
وكان ذلك كفيلا باعادة الثقة الى نفس بواسييه ، فعلق على
ما سمعه قائلا :

- ان لوفتى لاتعرف شيئا . فالفريد ليس من هذا الطراز من
الرجال الذى يفضى بسر عمله الى امرأة ، حتى ولو كانت هذه
المرأة زوجته ! .

وتحدث بواسييه عن جوسيوم ، ولم تختلف الصورة التى
رسمها عنه ، كثيرا عن تلك التى رسمتها عنه زوجته . وذلك بالرغم
مما كان فى الصورة التى رسمها بواسييه من زوايا رسمية .
- اتعرف اننى ضقت ذرعا بتضييق الخناق على مثل هذا
الرجل ، حتى ينتهى به الأمر اخيرا الى أن يكبل بالأصفاد . وهل
تعرف اننى عندما حكم عليه فى آخر مرة بالسجن مدة خمسة
اعوام ، راودتنى نفسى أن القن محاميه درسا فى فن المرافعة . .
وذلك لأننى كنت اشعر بأن هذا المحامى كان ينقصه الكثير ! .

وان كان بواسييه لم يحذد ما يعنيه او يكشف عما تنطوى
عليه نفسه بصفة قاطمة ، الا ان ذلك كان واضحا كل الوضوح ،
مما لا يحتمل تفسيراً او تأويلاً .

- ان الفريد فى محيطه ، ليس له مثيل فى باريس كلها ، انه
ليقتحم البيوت الآهله بالسكان ، دون ان يشعر به احد ، ودون
أن تتنبه لوجوده حتى الكلاب . وهو يتقن عمله فنيا تمام الاتقان ،
ويقوم به دون أن يستعين بأحد ما ، حتى ولا فى مراقبة جوار
المكان . ويمتاز ، علاوة على ذلك كله ، بهدوء أعصاب يعينه على
ارتكاب جريمته فى ثبات واتزان . وهو لا يتعاطى الخمر ، ولا
يكثر فى الكلام ، ولا يتردد على الأماكن العامة . وان له من المواهب
ما تستطيع بها أن يكبح جماح نفسه ولا يندفع فى عمله . فهو
يعرف مثلا اين يجد المئات من الخزائن التى قام بصنعها وبتركيبها

والتي يلم بطريقة فتحها وبأسرار جهازها . وما كان عليه بعد ذلك إلا أن يهاجم ما شاء منها ليستولى لنفسه على ما يصبو اليه ويتمنى فقير أنه لم يفعل ذلك أبدا ، وكان مقلا في نشاطه ، بالرغم مما صادفه في المرات القليلة التي قام فيها بذلك من سوء حظ . لم يحصل لنفسه منها إلا على النزر اليسير ! .
ثم توقف بواسييه عن مواصلة حديثه فترة قصيرة ، تساءل فيها ميجريه عجبا عما كان يدور بخلده ! .

ومما يدعو للسخرية وللعجب معا من أمر هذا الرجل ، أنه لو قدر له أن يقضى في السجن مدة مهما طالت ، فإنه يعود الى نشاطه بمجرد خروجه منه ، حتى ولو كان في السبعين من عمره وخرج متوكئا على عصاه . وذلك لأن هناك رغبة واحدة تملك عليه نفسه وتشغل تفكيره وتسيطر على كيانه كله . الا وهي تلك الصفقة الكبيرة التي يتوق اليها . صفقة واحدة فقط ، يخلد بعدها للراحة ويعتزل حياة الاجرام . وما اظنه الا ظافرا بها في هذه المرة ! .

فقال ميجريه ليوضح له الأمر :

ـ أبدا . . لقد كانت هذه المرة بالنسبة اليه أسوأها جميعا . انه في مازق لا يحسد عليه . اذ يبدو أنه بينما كان يمارس نشاطه بمكان ما بناحية نويللي ، وجد نفسه وجها لوجه أمام جثة في نفس الحجرة التي كان يعمل بها ويعالج احدي الخزائن .

ـ ألم اقل لك انه سييء الحظ ؟ . ان مثل ذلك لا يمكن أن يحدث الا له . وهل لاذ بالهرب ؟ . وماذا فعل بالدراجة ؟ .
ـ تخلص منها في نهر السين .

ـ وهل فر الى بلجيكا ؟ .

ـ أرجح ذلك .

ـ هل اتصل بروكسل ؟ . أم أن هذا لا يهيك الآن ؟ .

ـ بل يهمني جدا .

ـ وهل تعرف مكان الحادث بالضبط ؟ .

- أعرف انه كان بناحية نويللي ؟ وفى بيت له حديقته وباب حديدي كبير .

- وفى ذلك ما سيسر علينا التعرف على المكان . اسمح لى بلحظة أعود بعدها فورا .

ولما خرج بواسييه ، طلب ميچريه كأسين آخرين من شراب البرنو . وانفرد بنفسه ليستعيد الكثير من ذكرياته القديمة ، على نمط هذا الذى وقع قديما فى شارع « لالون » . واستعاد فيما استعاد من ذكريات ، ما كان منها فى مدينة « كان » عندما عهد اليه باحدى تلك القضايا الشديدة التعقيد ، وما كان من انقلابها فجأة الى قضية سهلة مبسطة ، أصبحت أقرب ما تكون الى مادة من مواد اللهو فى موسم الاجازات .

ثم تذكر فجأة ، أن زوجته قد طلبت أن يقابلها فى سوق الزهور ، اذا ما سمح له عمله بذلك . وها هو ذا عمله لم يعد يسمح له بشيء من هذا . حيث عاد بواسييه بدوسيه استخرج منه بعض الصور الفوتوغرافية لألفريد جوسيوم :

- اليك مجموعة من الصور التى أخذت له ! :

وكان الوجه ، وجها جادا رزينا ، وليس وجه عابث مستهتو . التصق جلده بعظامه فكادت أن تبرى منه . وبدت نظراته حادة ساحرة . وبالرغم من أن هذه الصور لم تكن إلا صورا رسمية ، إلا أنها لم تخف طابع الرجل الحزين وكآبة نفسه ، لم تخف لماذا لقب ألفريد جوسيوم ، بفريدى الحزين .

- هل تحب أن أتلو عليك سجله ؟

- فيما بعد . . ان ما يهمنى الآن هو القائمة .

وأثلج الطلب الأخير صدر بواسييه سرورا . وكان ميچريه يعلم مقدما بذلك ، لأنه كان متأكدا من أن بواسييه لا يقوته أعداد مثل هذه القائمة .

- هل كنت تعلم أننى سأحضر القائمة معى ؟

قالها مرهوا فخورا .

- كنت متأكدا من ذلك .

أما هذه القائمة ، فعبارة عن كشف مستخرج من دفاتر مؤسسة بلانشار ، مبينا به جميع الخزائن التي تم تركيبها وأعدادها إبان خدمة الفريد جوسيوم بالمؤسسة .

- لحظة حتى أراجع الكشف الخاص بنويللى . هذا اذا كنت واثقا أن الحادث قد وقع فى هذه الناحية ؟ .

- بهذا أخبرتنى أرنستين .

- ما أظن انها حضرت الى هنا لتلقى على مسامحك ببعض

الأكاذيب . ولكن . . لماذا جاءت لمقابلتك بالذات ؟ .

- لأنها تعرفنى منذ أن أقيت القبض عليها من سبعة عشر

عاما . وهى لم تنس هذا التاريخ ، بعد أن حاولت تجنب ذلك بطريقة ملتوية .

وهز بواسييه رأسه دليلا على احاطته بمثل هذه الحيل

والألاعيب . لقد كان كل من الرجلين راسخ القدم فى نواحي عمله ،

وطيد الثقة بنفسه . وانتشرت فى جو الغرفة رائحة البرنو ، سائلا

أصفر متلألئا فى كأسيه البلوريين . وبدأ بواسييه يراجع القائمة .

- بنك . . لا . . ان فريدى لم يكن من عادته ذلك . . فقد

كان يخشى اجهزة التنبيه . . هنا شركة بترول . . ولكنها توقفت

عن العمل منذ عشر سنوات . وها مصنع للعطور قد أعلن افلاسه

منذ عام ! .

وأخيرا توقف القلم فى يد بواسييه عند احد الاسماء ، وقرأ

بصوت مرتفع :

- جيلوم سيريه ، طبيب أسنان ، ٤٣ ب ، شارع لافيرم ؟

نويللى . . هل تعرف هذا الاسم والعنوان ؟ . هذا الشارع يمر

عبر حديقة الحيوان فى محاذاة طريق ريتشارد والاس .

- أعرف ذلك .

- ثم نظر كل منهما للآخر . وتبادلا ما كان يجول بخاطر كل

منهما . وأخيرا قال ميجرية :

- هل بين يديك عمل يشغلك ؟ .

- كنت أعد بعض الملفات لأننى راحل الى بريتانى غدا .

- اذن .. هيا بنا .

- مهلا حتى احضر قبعتى .. هل ترى ان اتصل ببروكسل
أولا ؟

- بكل تأكيد .. وبهولاندا ايضا .

- حسنا .

واستقلا الاوتوبيس الى بفيتهما .. وما ان وصلا الى شارع
دى لافيرم الهادىء الساكن ، حتى اتخدا لهما مكانا حول مائدة على
شرفة مطعم صغير ليتناولوا طعام الغداء .

ولم يكن هناك من رواد المطعم ، غير ثلاثة رجال من عمال
البناء ، يحتسون النبيذ الاحمر مع وجباتهم الخفيفة . وفى الناحية
الاخرى من الطريق ، كانا يريان امامهما بابا كبيرا من الحديد
المطروق ، لا يستبعد ان يكون هو المعنى برقم ٤٣ ب .

ولم يكونا على عجلة من امرهما . فان صح ان هناك جثة ما فى
هذا البيت فقد كان لدى القائل متسع من الوقت ، يتخلص فيه
من هذه الجثة .

وقامت بخدمتهما احدى فتيات المحل ، واقبل عليهما مديره
يرحب بهما ويحييهما .

- الجو جميل يا سادتى .

- الجو جميل فعلا .. هل يوجد طبيب أسنان بالقرب من
هذا المكان ؟

هناك فى الجانب المقابل لنا .. ولكننى لا اعرف مدى
خبرته . ان زوجتى تفضل طبيبا آخر فى شارع سباسبول ..
واعتقد ان الطبيب المقابل لنا مرتفع الاجر ، لاننى لا ارى الكثيرين
من المرضى يترددون عليه .

- هل لك به معرفة ؟

- قليلا ..

وتوقف مدير المطعم قليلا ، وراح يتأملهما فاحصا ، ثم استقر
نظره على بواسييه .

- انكما من ضباط الشرطة .. اليس كذلك ؟

- ورأى ميجه انه من الأوفق أن يجيب بالإيجاب .
- هل ارتكب شيئا ؟ .
- اننا نقوم بجمع بعض التحريات فقط . كيف يبدو ؟ .
- أكثر طولاً وأضخم جسماً منى ومنك .
- قال ذلك وهو يتوجه بنظراته الى كبير المفتشين .
- انه عملاق ضخماً .
- وكم يبلغ من العمر ؟ .
- حوالى الخمسين . . ان هيئته لا تحمل على الاعتقاد بأنه طبيب أسنان . . كما يبدو فى عينى من يراه ، أقرب ما يكون لتلك الهيئة التى يبدو بها الرجل الأعزب .
- انه غير متزوج ؟ .
- مهلاً . . فى الواقع ، وعلى قدر ما أذكر ، قد تزوج فعلاً ، وكان ذلك منذ عامين تقريباً . ويوجد بالمنزل ايضاً امرأة مسنة هى والدته فيما أظن . وهى التى تخرج للسوق كل صباح .
- أيجاد لديهم خادم ؟ .
- لا . . اللهم الا امرأة تحضر فى كل صباح لتؤدى ما تتطلبه نظافة البيت من أعمال فى ساعة أو ساعتين . ولكنى لست متأكداً من كل هذا الذى اتحدث به . . اننى لا أعرفه الا معرفة سطحية اتاحتها لى رغبته فى التردد على المطعم لتناول كأس من الخمر لجلسة . .
- لجلسة ؟ ! .
- نعم . . فليس من عادة من هم من طبقتهم أن يترددوا على مكان مثل هذا . فاذا ما عن له فى وقت ما ان يفعل ذلك ، يفعله لجلسة محاذراً ان يراه أحد . وهو لا يتعاطى غير النبيذ الاحمر .
- ويطلب منه أكثر من كأس ، يرددها دفعة واحدة ، ثم يدفع الحساب ويخرج مسرعاً .
- وهل كنت تلاحظ تأثير الخمر عليه ؟ .
- لا . . وكنت لاحظ أنه بمجرد أن يشرع فى الانصراف يضيع لى فمه شيئاً حتى لا تفوح منه رائحة الخمر .

- وكيف تبدو والدته ؟
- انها امرأة مسنة ضئيلة الجسم تتشبح بالسواد . وهى
منطوية على نفسها لا تميل الى الاختلاط بأحد .
- وزوجته ؟
- لم ارها الا فيما ندر ، عندما كانت تخرج معه فى السيارة
ولكننى سمعت انها اجنبية . وهى تشبهه ضخامة وطولا .
- وهل تظن انهم غائبون عن المنزل فى عطلة ؟
- يمكن التحقق من ذلك . ان آخر مرة رأته فيها منذ يومين
أو ثلاثة عندما قدمت اليه كأسين من النبيذ الأحمر .
- منذ يومين أو ثلاثة ؟
- أمهلنى لحظة . فقد كان ذلك عندما حضر العامل ليصلح
مضخة البيرة . سأؤكد من هذا بسؤال زوجتى .
- ولما استفسر من زوجته ، تأكد له ان ذلك كان من يومين
سابقين ، أى فى يوم الثلاثاء ، قبل ان يكشف الفريد جوسيوم عن
رجثة المرأة ببضع ساعات .
- هل بوسعك ان تذكر على وجه التحديد متى كان ذلك ؟
- لقد كان يحضر دائما حوالى السادسة والنصف .
- من البيت مباشرة ؟
- نعم . . الا يمكن ان تطلعنى على السبب فى كل هذه
الأسئلة ؟
- ليس هناك أى سبب على الإطلاق . انها مجرد تحريات .
- ولكن الرجل لم يقتنع بذلك . وبدأ هذا فى عينيه واضحا
بجليا . وعندما هما بالانصراف سالهما ؛
- هل ستعودان ؟
- ثم نظر الى كبير المفتشين موجهها كلامه ؛
- أو يمكن ان تكون المفتش ميجريه ؟
- ومن أخبرك بذلك ؟
- لقد صرح احد هؤلاء الرجال الثلاثة بأنه عرف شخصيتك .

فاذا ما صبح ذلك ، فستسر زوجتى كثيرا بأن تراك حقيقة ماثلة
أمامها .

- فليكن ذلك عند عودتنا .

وسارا جنبا الى جنب ، فى الجانب المطل من الشارع . .
ميجريه يدخن غليونه ، وبواسييه يعبث بلفافة تبغ بين اصابعه .
وكما هو الحال فى أية مدينة صغيرة تبعد عن باريس بحوالى
خمسین ميلا ، كان هناك من المنازل الخاصة المستقلة ، اكثر مما
كان من العمارات والشقق . كما كان من بينها بعض الفيلات الكبيرة
التي سبق لبعض الأسر أن شيدتها منذ قرن أو اكثر .

ولم يكن بهذا الشارع باب حديدى كبير ، غير هذا الباب الذى
يقع فى مواجهة المطعم الصغير ، وكانت تمتد خلفه حديقة من
النجيل الأخضر ، بدت تحت أشعة الشمس يانعة مزدهرة .
وعلى اللافتة النحاسية كتب بحروف كبيرة :

جيلوم سيريه

جراح أسنان

وبحروف صغيرة :

من الساعة الثانية الى الخامسة مساء

بناء على موعد سابق

وكانت أشعة الشمس تنعكس على واجهة المنزل ، فتشع
حجارتها بلونه الأصفر الزاهى ، وكانت جميع نوافذ المنزل منلقة ،
الا نافذتين تركتا مفتوحتين ، ولاحظ بواسييه تردد ميجريه ،
- هل ستدخل ؟ .

- وماذا سنخسر من ذلك ؟ .

وقبل أن يعبرا الشارع ، نظر ميجريه يمنا ويسرة ، وفجأة
قوى ما بين حاجبيه ، واتجه نظر بواسييه الى حيث كان زميله
يحذف النظر وقد تسمرت عيناه . ثم صاح دهشا :
- لوفتى ! .

وكانت تتقدم فى هذه اللحظة ، من ناحية شارع ريتشارد
والاس ، واضعة على راسها نفس القبعة الخضراء التى كانت
تضعها فى الصباح . وما أن وقع نظرها على ميجريه وبواسييه ،
حتى توقفت لحظة ، ثم استأنفت سيرها فى اتجاههما .
- هل كان ظهورى مفاجأة لك ؟
- اذن فقد حصلت على العنوان ؟

- لقد اتصلت بمكتبك تليفونيا منذ نصف ساعة . وأردت
بذلك ان اخبرك باننى تمكنت من الحصول على القائمة ، التى كنت
متأكدة من انها يجب ان تكون موجودة فى مكان ما ، لاننى سبق
ان رأيت الفريد يراجعها ، ويؤشر على بعض ما هو مدون بها .
وما ان انصرفت من مكتبك صباح اليوم ، حتى خطرت لى فكرة
من المكان الذى يحتمل ان يكون الفريد قد اخفاها فيه .
- أين ؟

- وهل يتعين على ان اخبرك بذلك ؟
- قد يحسن بك ذلك .
- انى افضل الا افعل ذلك على الاقل فى الوقت الحاضر .
- وماذا وجدت غير ذلك ؟
- وكيف علمت باننى عثرت على غير ذلك ؟
- لانه لم يكن معك نقود هذا الصباح ، فكيف تسنى لك ان
تنتقل الى هنا !

- فعلا . لقد وجدت مبلغا من المال .
- مبلغا كبيرا ؟
- اكثر مما كنت انتظر .
- وهل تحتفظين بالقائمة ؟
- لا . لقد احرقتها .
- ولماذا ؟

- بسبب ما فيها من تأشيريات ، قد تكون دليلا على الاماكن
التى سبق لالفريد ان اقتحمها . ومهما يكن من امر فلسفت
مستعدة ان ازودك باى دليل ضده .

ثم اتجهت بنظرها الى المنزل .

ـ هل ستحاول الدخول ؟

[قأوماً ميجرية برأسه ايجاباً .

ـ الديك ما يمنع من أن انتظر بالمقهى ؟

ـ كما تريد .

ولم تكن قد وجهت كلمة طوال هذا الحديث لبواسييه ؟

الذى وقف من ناحيته يحدق النظر فيها بعينين حادتين .

وتحرك ميجرية من دائرة الظل يتبعه بواسييه ، حيث سارا

تحت وهج أشعة الشمس المحرقة ، على حين اتجهت ارنستين

الى شرفة المقهى .

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعشر دقائق . واذا لم يكن

الطبيب متغيباً في اجازة ، فلا بد أن يكون الآن ، في انتظار مرضاه

بناءً على ما هو مسطر باللائحة النحاسية . ولاحظ ميجرية أن

هناك زر جرس كهربى على يمين الواقف بالباب . وما أن ضغط

عليه ، حتى فتح الباب على مصراعيه أوتوماتيكياً . واجتاز الحديقة

الصغيرة مع زميله ، حيث وجدا أمامهما باباً آخر ، فقام مرة

أخرى بضغط زر الجرس ، الذى اتضح أنه لا يعمل بطريقة

أوتوماتيكياً كالاول . وانتظر الرجلان فترة غير قصيرة وقد أصابها

ثم نظر كل منهما للآخر . عندما خيل اليهما أنهما يسمعان حركة

ما خلف الباب . وأخيراً سمعا فعلاً صوت قفل يفتح وسلسلة

تسحب ، ثم صوت مزلاج يرفع تنفرج بعده فتحة سفيرة فى الجزء

العلوى من الباب .

ـ هل هناك موعد ؟

ـ نريد مقابلة مسيو سيريه .

ـ انه لا يقابل احدا الا بناء على موعد سابق .

ولم تنفرج الفتحة بأكثر مما انفرجت به . الأمر الذى لم

يسمح لهما بأن يريا أكثر من ظل وجه امرأة مسنة .

ـ بناء على ما سطر على اللافتة النحاسية .

ـ ان اللافتة فى مكانها منذ خمسة وعشرين عاماً .

– هل لك في أن تبلغى ابنك أن المفتش ميجرية يرغب في مقابلته ؟ .

ومرت فترة أخرى قبل أن يفتح الباب ، الذى كشف عن ودهة متسعة قد شكلت أرضها من الرخام الأبيض والأسود ، فبدأت كدهليز من دهاليز الأديرة القديمة ، وكانت السيدة العجوز التى إخطت الى الخلف لتفسح لهما الطريق ، أقرب ما تكون شبها فى ثيابها براهبات تلك الأديرة .

– معذرة يا سيدى المفتش ، لأن ولدى لا يهتم بمقابلة المرضى العابرين .

ولاحظ ميجرية أن هذه السيدة تشتمع بشخصية قوية وبرقة أصيلة علاوة على ماكتسى به من وقار . وكانت تحاول بإبتسامتها أن تزيل من نفسه ما يكون قد علق بها نتيجة لتصرفها الأول معه .

– تفضل بالدخول . أخشى أنك ستضطر للانتظار قليلا . فقد اعتاد ولدى منذ بضع سنين ، أن يرتاح فى وقت القيلولة ، وبالذات فى فصل الصيف . تفضل من هنا يا سيدى .

وقامت بفتح باب على يسار الداخل . ولاحظ ميجرية ان الباب من خشب البلوط المتقن الصنع . كما لاحظ انه قريب الشبه بأبواب الأديرة ، ان لم يكن أحسن منها جودة ورونقا . . وتفذت الى انفه رائحة هادئة ساحرة تأخذ بالألباب . وقد ذكرته هذه الرائحة بشيء ما حاول ان يدرك كنهه ، ولكنه لم يستطع الى ذلك سبيلا . وكانت نوافذ حجرة الضيوف التى قادتهم اليها مغلقة ، مما جعل الحجرة فى شبه حالة من الاظلام الا من هذا البصيص الخافت من الضوء الذى تمكن ان ينفذ من النوافذ المغلقة . ولما تخطا ميجرية داخلا الحجرة ، خيل اليه انه يخطو الى صالة حمام رطب بارد .

ولما احتوتهم الغرفة ، وجسد ميجرية نفسه فى عالم قائم بذاته ، غير هذا العالم الذى كان فيه منذ لحظة ، حتى ضوضاء المدينة لم تعد تنفذ الى سمعه . ورأى ان هذا المنزل بكل ما فيه قد ظل على حاله الذى كان عليه منذ قرن من الزمان . فهذه

المقاعد ، وتلك المناضد ، وهذا البيانو بكل ما عليه من تحف ، تقف جميعا فى مواضعها التى كانت بها لم تتحرك ولم تنقلها يد . حتى تلك الصور الفوتوغرافية الكبيرة المثبتة على الجدران فى اطرافها الخشبي الاسود ، تحكى تاريخ قرن مضى ، بأزيائه وبتقاليده وبزينة قومه . وقد رأى من بينها صورة لسيدة فى الأربعين كانت أقرب شبيها بشعرها المعقوص ، من الامبراطورة اوجينى .

وخيل اليه ، ان هذه السيدة التى تقف معهما ، وتدعوهما للجلوس عاقدة ما بين يديها ، ما هى الا ملاك للرحمة قد برز من احدى تلك الصور القديمة .

- لست احب ان تظن بى الفضول ، سيدى المفتش ، الا انه لا يوجد بينى وبين ولدى اسرار ما . اننا لم نفترق طوال حياتنا ، مع انه قد جاوز الخمسين . وليست عندى كما ترى اية فكرة عما ائى بك الى هنا . واحب ان تعطينى فسكرة عن ذلك قبل ان ازعجه

ولم تتم ما كانت تزمع قوله ، واكتفت بتأملهمسا بإبتسامة رقيقة .

- ان ابنك متزوج فيما اعتقد ؟ .

- لقد تزوج مرتين .

- وهل زوجته الثانية موجودة بالمنزل ؟ .

قطافت سحابة من الحزن بعينيها ، وبدأ القلب يستحوذ على بواسييه ، فلم يكن هذا المنزل بالمكان الذى يناسبه .

- انها لم تعد تقيم معنا يا سيدى المفتش .

واتجهت الى الباب تفلقه فى هدوء ، ثم عادت الى احدى الأرائك لتجلس على حافتها منتصبه القامة ، كما تجلس الفتيات الصغار فى حياتهن الأولى بمدارس الراهبات ، ثم سألته فى صوت خفيض :

- ارجو الا تكون قد ارتكبت خطأ ما ؟ .

فلما لم يجيبها بيجريه بشيء ، تنهدت عاقدة العزم على مواصلة حديثها :

- اذن فقد كنت على حق في الاستفسار منك عن سبب حضورك ، ما دام الأمر يتعلق بها . انك حضرت في شأن يخصها اليس كذلك ؟ .

فهل بدأ من ميجرية ما ينم عن شيء من ذلك ؟ لقد حرص كل الحرص على ألا تبدر منه بادرة يمكن أن يشتم منها شيء ما . لقد كان مأخوذا بكل ما في هذا المنزل ، وبالذات بهذه المرأة التي كانت تخفى وراء ضعفها ارادة عارمة قوية .

ان كل ما في هذه المرأة ، كان يدل على ذوق جميل : ثيابها وهندامها وصوتها . انها جديرة بأن تجدها في قصر من القصور القديمة الموجودة في الريف أو في متحف من تلك المتاحف التي تحكى تاريخ عصور ولت وانقضت .

- بعد أن توفيت زوجة ولدي منذ خمسة عشر عاما ، لم يفكر في الزواج مرة أخرى .

- لقد تزوج مرة أخرى منذ عامين . هذا إذا لم اكن منخطئا ؟ . ولم تدهش لسماها ذلك ، ولم تعجب من احاطة المفتش بهذه المعلومات .

- لقد تزوج فعلا ، منذ عامين ونصف على وجه التحديد . لقد تزوج من احدي مرضاه ، ولم تكن صغيرة السن حينئذ ، انها كانت في السابعة والأربعين من سنئ حياتها ، هولندية الاصل ، تعيش بمفردها في باريس ، ان العمر لن يطول بي كثيرا يا سيدى المفتش ، فانى في الثامنة والسبعين كما ترى .
- ان هذا لا يبدو من مظهرك .

- أعرف ذلك . لقد عاشت والدتى حتى بلغت الثانية والتسعين . وكانت جدتى في التاسعة والثمانين عندما قتلت في حادث ما .

- ووالدك ؟ .

- لقد مات في سن مبكرة .

قالت ذلك ، وكأنها كانت ترى انه من المسلم به ان يموت الرجال في سن مبكرة ، غير متجاوزين مرحلة الشباب .

- وكنت أنا التي شجعته على الزواج مرة أخرى ، حتى
لا يعيش وحيدا بعد موتى .

- وهل كان هذا الزواج زواجا غير موفق ؟ .
- لست أدري كيف أصبر عن حقيقة الأمر تعبيرا دقيقا ، واعتقد
أن السبب فيما كان ، يرجع أصلا الى أنها اجنبية . ان هناك الكثير
من الأمور الدقيقة التافهة التي لا يمكن ان يعتادها المرء . اننى
فى حيرة كيف أوضح لك ذلك . فلنبدا بمسألة الطعام مثلا ! فهى
تفضل هذا اللون أو ذاك ! ولعلها عندما تزوجت بابنى كانت تتصور
انه أكثر ثراء من حقيقته .

- ألم يكن لها دخل خاص بها ؟ .
- الى حد ما . كانت حالتها لا بأس بها . ولكن ارتفاع
مستوى المعيشة . !

- ومتى توفيت ؟ .
- توفيت ؟ ! .
- وحملت السيدة بعينيها دهشة فى وجهه وهى تردد ذلك .
- انى آسف لما بدر منى ، فقد كنت أظن انها ماتت . لانك
كنت تتحدثين عنها بضمير الغائب .

فابتسمت عند سماعها ذلك .
- هذا حق . ولكن الأمر ليس كما تبادر الى ذهنك ، انها
لم تمت ، وان كانت بالنسبة لنا قد ماتت بعد ان فارقتنا .
- وهل كان ذلك على اثر شجار ؟ .

- ان جيلوم ليس من هذا الطراز .
- معك مثلا ؟ .

- ولا معى يا مسيذى المفتش . فقد بلغت سننا يعاب على
المرء فيه ما يفعل . ورأيت من الحياة الكثير ، ومررت بتجاربه
هديدة مما يتيح لى أن ...
- متى تركت المنزل ؟ .

- منذ يومين .
- وهل أخبرتك بأنها عازمة على ذلك ؟ .

— لقد كنا نعلم أنها ستتركنا في يوم ما ، وأنه لا يقرب من بعدها عنا في نهاية الأمر .

— وهل تحدثت اليك بشيء من هذا القبيل ؟ .

— من وقت لآخر .

— وهل ذكرت لك شيئاً عن السبب ؟ .

ولم تسرع بالإجابة في هذه المرة . بل تمهلت قليلاً قبل أن تقول :

— اتحجب ان أخبرك صراحة بما أفكر فيه ؟ لقد ترددت بحشية أن تسخر مما أقول . وما كنت لأجيب ان أناقش مثل هذه الأمور في حضرة الرجال . ولكنني اعتقد ان ضابط الشرطة لا يقل عن الطبيب أو الكاهن في هذه الناحية .

— أظن انك كاثوليكية تتبعين كنيسة روما ؟ .

— نعم . . . وكانت زوجة ابني بروستانتية . ولم يكن هذا ليقيين من الأمر شيئاً . لقد كانت في أدق مرحلة من عمر أيتها امرأة . . . هل تفهمني . . . اننا جميعاً نجتاز هذه الفترة التي نفقد فيها الثقة بأنفسنا ، ونمر بهذه التجربة التي تذهب بنا مذاهب شتى من الفكر والخيال .

— فهمت ما تعنين . امدا كل ما في الأمر ؟ .

— هذا وغيره على الأرجح . وانتهى بها الأمر أخيراً ، إلى انها لم تكن تفكر إلا في هولندا ، مسقط رأسها الأصلي ، وكانت تقضي طوال النهار وطرفاً من الليل ، في الكتابة إلى أصدقائها الذين احتفظت بهم في هذه البلاد .

— ألم يصحبها ابنك في رحلة إلى هولندا ؟ .

— نعم . لم يصحبها .

— وهل كان سفرها في يوم الثلاثاء ؟ .

— لقد استقلت قطار الساعة التاسعة والأربعين دقيقة من محطة الشمال .

— قطار الليل ؟ .

— نعم . فقد قضت النهار في أعداد حقائبها .

- وهل توجه ولدك معها الى المحطة ؟ .
- لا .
- وهل استقلت سيارة اجرة ؟ .
- لقد خرجت لاستحضار احداها من ناصية شارع ريتشارد
والاسى .
- وهل اتصلت بكما بعد ذلك ؟ .
- لا . وما اظنها شعرت بان الامر يستلزم الكتابة اليها .
- وهل كان هناك مشروع طلاق ؟ .
- لقد اخبرتك باننا ندين بالكاثوليكية . اصف الى ذلك ان
اولدى ليس به رغبة فى الزواج مرة ثالثة . الا اننى لازلت اجهل
السبب فى زيارة الشرطة لنا .
- بودى لو علمت منك يا سيدتى ، تفصيل ما حدث هنا ليلة
الثلاثاء ، وقبل ان تجيبينى عن استفسارى ، اجب ان اعلم اولاً
الاجابة عما يأتى : هل كان لديكم خادم ؟ .
- لا . ان اوجينى تعمل لدينا فى ساعات معينة فقط . فهى
تحضر فى التاسعة صباحاً وتنصرف فى الخامسة مساءً .
- وهل هى بالمنزل الآن ؟ .
- ان اليوم هو يوم عطلتها . وستكون هنا غدا صباحاً .
- وهل تقيم بالقرب من هذا المكان ؟ .
- انها تقيم فى بوتو ، على الضفة الأخرى من السين ، فى
مواجهة الجسر مباشرة .
- اظنها قد سامدت زوجة ابنك فى اعداد حقائبها ؟ .
- وحملت الحقائب الى الطابق الأرضى .
- وكم كان عددها ؟ .
- صندوق وحقابتان من الجلد على وجه التحديد . قير
صندوقين صغيرين ، احدهما للجواهر والثانى لمفردات الزينة
من عطور وغيرها .
- وهل انصرفت اوجينى فى الخامسة كما دتها ؟ .
- نعم اما فى ذلك شك . وأرجو ان تغفر لى ما تراه من

اضطراب فى اقوالى . وفى الحق ان هذه اول مرة اتمرض فيها
لمثل هذا الاستجواب ، ويجب ان اعترف .

– وهل خرج ولدك من المنزل فى ذلك المساء ؟

– اى وقت تعنى بسؤالك ؟

– فلنقل قبل العشاء مثلا .

– تخرج يجول قليلا كمادته .

– اظن انه خرج لتعاطى قليل من الخمر ؟

– ان ولدى لا يقرب الخمر .

– مطلقا ؟

– لا شىء غير كأس من النبيذ مع وجبة الفداء .

ولاحظ ميجرىه ان زميله يحاول جاهدا ان يتحكم فى اعصابه
بالعبث فى شاربه .

– وما ان عاد ولدى من جولته ، حتى جلسنا نتناول طعام

العشاء . لقد اصبحت هذه الجولة من اشد عاداته التصاقا به

بعد ان كان يخرج عند كل غروب ، مصطحبا معه الكلب الذى كنا
نقتنيه .

– الا يوجد لديكم كلاب فى هذه الايام ؟

– نعم . لم تكرر ذلك منذ ان نفق بيبى من اربعة اعوام .

– ولا قطط ؟

– لم تكن زوجة ابنى لتطيق مثل هذه الحيوانات . ارأيت

هأنذا اشير اليها مرة اخرى بضمير الفائب . وفى الحق ان مرجع

ذلك الى ما يسيطر علينا من شعور بانها اصبحت جزءا من
الماضى .

– وهل كنتم الثلاثة تجلسون معا الى مائدة الطعام ؟

– كانت ماريا تدخل القاعة فى نفس الوقت الذى احمل فيه

الحساء .

– وهل حدث ذلك فى تلك الليلة ؟

– نعم . كما كانت عادتنا دائما .

– ايم يقع شجار او تدور مناقشة فى اثناء ذلك ؟

— لم يقع شيء من هذا القبيل . ولم يتفوه أحد منا بكلمة في
ثناء جلوسنا الى المائدة . الا اننى لاحظت ان جيلوم كان واجما
لقد حاول في مبدأ الأمر ان يبدو غير منكثرت ، الا انه لم يستطع
ان يستمر في ذلك ، لانه كان مرهف الشعور كما تعودت ان اراه
دائما . ولم يكن الفراق بالشئ اليسير بين شخصين عاشا معا
اكثر من عامين .

وما سمعته السيدة المسنة التى تجاوزت السبعين ، لم يسمعه
اكل من ميجرية او بواسييه ، ولكنهما لاحظا انها تصيخ لشيء .
ولعلها قد جانبها التوفيق في ذلك . حيث ان ميجرية بمجرد ان
ادرك هذا ، نهض عن مقعده واتجه صوب الباب وفتحته ، فوجد
نفسه وجها لوجه امام رجل اطول منه قامه واعرض منكبين واثقل
وزنا ، وقد اصطبغ وجهه بحمرة الخجل ، لضبطه متلبسا باستراق
السمع ، مستترا وراء الأبواب الموصدة .

ويبدو ان والدته كانت صادقة ، عندما قالت ان ولدها في
راحة القيلولة ، اذ كان شعرة غير ممشط ، تتدلى خصلة منه على
جبهته ، كما دلت ثيابه في مجموعها على انه نهض مسرعا من نومه
واخيرا قال له ميجرية :

— هلا تكلمت بالدخول يا مسيو سيريه ؟

— انى اعتذر عما كان منى . لقد سمعت اصواتا فاعتقدت . . .

وكان يتكلم في ثياب متنقلا بنظراته بينهم جميعا .

ثم نهضت والدته عن مقعدها وهى تقول موضحة للأمور :

— هذان السيدان من ضباط الشرطة .

ولم يسألها ايضا اكثر مما قالت . وعاد يحمق في وجوههم

بجميعا مرة اخرى ، وهو يصلح من شأن هندامه .

— اخبرتنا السيدة سيريه ، بان زوجتك قد رحلت في اليوم

الاسبق .

وما ان سمع ذلك ، حتى استدار ناحية السيدة العجوز

اليواجهها وقد زوى ما بين حاجبيه مقطبا جبينه ، ثم سألها وهو

يضغط على كل حرف من كلماته قائلا :

— ماذا يريد هذان السيدان على وجه التحديد ؟ .
— لست أدري .

وقد أسقط في يد ميجريه . أما بواسيه فكان يتساءل عن الطريقة التي سيتخلص بها رئيسه من هذا الموقف . فلم يكن هؤلاء الناس ممن تنفع معهم أساليب رجال الشرطة المتعارف عليها .

— في الواقع يامسيو سيريه ، أن موضوع زوجتك جاء عرضاً في أثناء حديثنا . لقد أخبرتنا والدتك أنك كنت تأخذ قسطك من الراحة . فتجاذبنا أطراف الحديث لنقطع الوقت في انتظارك . لقد جئنا الى هنا ، زميلي وأنا ، لأن لدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأنك كنت ضحية لشروع في سرقة . ولم يكن سيريه بالرجل الذي يخشى مجابهة غيره وجها لوجه فحذج ميجريه بنظرة فاحصة ، وكأنه يريد بها أن يسبر أعماق نفسه .

— على أي أساس واثتت هذه الفكرة ؟ .

— مثل هذه المعلومات تصلنا أحيانا بطريقة سرية .

— لعلك تعنى بذلك مرشدى الشرطة ؟ .

— فليكن الأمر كذلك .

— يؤسفنى ان أخيب ظنكما .

— أو يعنى هذا ان منزلك لم يتعرض للسطو ؟ .

— لو حدث ذلك ، لكنت أول من يبلغ السلطات المحلية به .

ولاحظ ميجريه ، ان هذا الرجل كان أبعد ما يكون عن التفاهم

أو عن أن تلين له قناة .

— ومع ذلك ففي حوزتك احدى الخزائن ؟ .

— أعتقد أنه من حقى ان أرفض اجابتك عما تسأل عنه . ومع

ذلك فلن يضيرنى فى شىء أن أقرر لك اننى أقتنى احداها .

وكانت والدته تحاول من ناحيتها ان تلتطف من حديثه بإشارات

منها ، وبالرغم من ادراكه ذلك ، فقد ظل على حاله لا يتغير .

— وهى ، اذا لم اكن مخطئا ، احدى تلك الخزائن التى قام

بتركيبها اخوان بلانشار منذ ثمانية عشر عاما .

وظل الرجل واقفاً في مكانه لا يتحرك ، ثابتاً كالطود ، لا يزعزعه شيء . وعاد كل من ميجرية وبواسييه الى الجلوس في ركن مظلم من الحجرة ، وراح ميجرية يتأمل الرجل مقارناً بين هيئته وبين إحدى الصور الفوتوغرافية المثبتة على الجدران .
- لا اذكر على وجه التحديد متى وضعت في بيتي . كما انه ليس من شأن كائن من كان أن يعرف متى كان ذلك . . ان هذا الامر من شأني انا وحدي .

- لاحظت عند دخولنا ان الباب محصن بسلسلة وقفل .
- هذا شأن الكثير من أبواب المنازل .
- اظن ان غرف النوم بالطابق العلوي .
وتعمد سيريه الا يجيب بشيء .
- واظن ان غرفة المكتب والعيادة بالطابق الأرضي ؟
وفهم ميجرية بإشارة من يد السيدة ان الغرفتين المذكورتين تقعان بجوار غرفة الضيوف التي كانوا يجلسون بها .
- هل تسمح لي بالقاء نظرة على المكان ؟
وفغر الرجل فاه ، وفهم ميجرية انه على وشك ان يجيب بلا وأدركت ذلك والدة الرجل ايضاً فتدخلت قائلة :
- ماذا يمنع من اجابتهما الى ما يطلبان ؟ فلعلهما ان يريا ويقتنعا بان شيئاً مما يقولان لم يقع .
ورفع الرجل كتفيه استهتاراً ، ولم يتخل عن عناده وصلابة رأيه ، كما ظل واقفاً في مكانه ، ولم يتحرك ليصخبهما الى الغرف المجاورة .

وتقدمتهما السيدة سيريه الى حجرة مكتب هادئة من الطراز القديم على نمط حجرة الضيوف . ووقسع نظرهما على خزانة كبيرة الحجم ، خلف مقعد من الجلد الأسود . . وخطا بواسييه نحو الخزانة ، وفحصها من الخارج بعين تخبير وبلمسات فنية بحاذقة . فعلقت السيدة على ذلك قائلة :

- أنت ترى ان كل شيء على ما يرام . . ارجو الا تعلق على تصرف ولدي معكما . ولكن . . .

ثم توقفت فجأة عن اتمام حديثها ، عندما رأت ابنتها فى قرجة الباب يسلم عليهم نظراته القاسية الحائقة .

وتحركت نحو دولاب الكتب ، وهى تشير بيدها قائلة :
- لا يدهشك هذا الجمع من كتب القانون ، انها كانت لزوجى
الذى كان يعمل محاميا .

ثم تقدمت لتفتح بابا آخر يودى الى غرفة العيادة ، التى
كانت بسيطة عادية بكل ما فيها من معدات وأدوات لجراحة
الأسنان . . وكان النصف الأسفل من زجاج النوافذ من الزجاج
الأبيض السميك .

وفى عودتهم ، مجتازين غرفة المكتب ، خرج بوانسييه على
أحدى النوافذ الموجودة بها ، ومر بأصابعه عليها ، ثم أوما برأسه
الى ميجريه ، الذى أدرك بدوره ما كان يعنيه زميله بذلك .
- هل ثبت زجاج هذه النافذة حديثا ؟ .

فأجابت السيدة فوراً :

- منذ أربعة أيام . فقد أطاحت العاصفة بزجاج هذه النافذة
ولعلك تذكر قيام هذه العاصفة ؟ .

- وهل قام باصلاحها العامل المختص بذلك ؟ .

- لا .

- إذن فمن يكون غيره ؟ .

- ابنى . انه يميل للقيام بمثل هذه الأعمال . وهو الذى
يقوم بمثل هذه الاصلاحات البسيطة التى نحتاج اليها أحيانا .
وهنا قال جيلوم سيريه فى عصبية ظاهرة :

- ليس لهذين السيدين أى حق فى منضايقتنا بمثل هذه
الأسئلة . اماء ! أرجو ألا تجيبيهما عن شئ بعد ذلك .

فأدارت السيدة ظهرها لولدها ، وابتسمت لميجريه ابتسامة
أفهم منها أنها تريد أن تقول له :

- لأعليك منه . لقد سبق لى ابن أبنائك بذلك .

ثم تقدمت لى باب المنزل ، على حين ظل ولدها واقفا فى
غرفة الضيوف وعند الباب مالت على ميجريه هامسة :

— اذا كان هناك ما تريد أن تقوله لى ، فلتحضر لِقابلتى عندما لا يكون موجودا .
وخرجا الى ضوء النهار ، حيث عادا ليصطليا بحرارة الشمس وما أن اجتازا باب الحديقة الحديدى ، حتى لمحا ارنستين بقبعتها الخضراء ، جالسة بشرفة المقهى عبر الشارع .
وعندئذ توقف ميجرية عن متابعة سيره . ولعله كان يفكر فى الانعطاف يسارا ليتجنب لقاءها ، لأنه كان يخشى ماقد يتبادر الى ذهنها ، من أن عليهما أن يخبراها بطرف مما كان .
وأخيرا قرر كبير المفتشين أن يتوجه الى حيث كانت تجلس لوفتى ، التى كانت تتأملهما وهما فى طريقهما اليها ، بنظرات فضول مستفسرة .

الفصل الثالث

— ماذا كان من عملك اليوم ؟
بهذا سألت السيدة ميجرية زوجها عندما جلسا يتناولان طعامهما أمام النافذة المفتوحة .
وكانا يشاهدان فى المنازل المقابلة ، كثيرا من الناس يتناولون طعامهم أيضا ، وقد اكتفى الرجال بارتداء قمصانهم نتيجة لحرارة الجو الشديدة . وكان البعض الآخر ممن فرغوا من تناول طعامهم يطلون من نوافذهم ، متكئين بمرافقهم على قواعدها . وكنت تسمع نغمات الموسيقى المنبثقة من الراديو ، مختلطة بصياح الأطفال وبضوضاء المكان كله .

— لا شىء غير ما تعرفين من طبيعة عملنا . هناك امرأة يقال انها قد قتلت . ويرجح أن تكون حية ترزق فى مكان ما .
ورأى أنه من سبق الحوادث أن يتحدث بأكثر من ذلك . كما أنه كان يشعر فيما بينه وبين نفسه ، بأنه كان متراخيا الى حد ما فى تصرفه . لقد أمضى ثلاثتهم ، هو وبواسييه وارنستين ، وقتا طويلا فى جلستهم بشرفة المقهى فى شارع دى لافيرم ، وكانت ارنستين هى الوحيدة من بينهم الأكثر حماسا وفاعلية .

- وبدأت تكشف عن منافذ الشك بحديثها وأسئلتها ؟
- اذن فقد قرر عدم صحة ما حدث ؟ .
- فى الواقع انه لم يقرر شيئاً ، فقد كانت والدته هى التى تمسك بزمام الحديث . أما هو فقد القى بنا خارج المنزل .
- وهل نفى وجود جثة ما بغرفة المكتب ؟ .
- وكان من الواضح ، انها قد حصلت على بعض المعلومات ؟ من مدير المقهى عن سكان البيت ذى الباب الحديدى الكبير .
- ولماذا لم يبلغ الشرطة من محاولة بعضهم السطو على منزله ؟ .
- ان احدا ما لم يهاجم منزله كما يقول .
- ولما كانت اكثر دراية من غيرها بوسائل فريدى الحزين قالت ؟
- ألم تكشفنا ان احدى النوافذ ينقصها زجاجها ؟ .
- ونظر بواسييه الى ميجرية نظرة كانت تعنى انه يشير عليه بعدم الافضاء بشيء ما ، الا ان كبير المفتشين ضرب صفحاً عن ذلك قائلاً :
- وجدنا فعلاً ان زجاج احدى النوافذ قد تم اصلاحه حديثاً ويقال بأنه تحطم منذ اربعة أو خمسة أيام ليلة العاصفة .
- انه يكذب . . !
- فعلاً . . لا بد أن هناك من يكذب .
- او تعينى بذلك ؟ .
- انا لم اقل هذا . قد يكون الفريد .
- وماذا يضطره لهذا ؟ ولماذا كان يكلف نفسه عشاء سرد هذه القصة الطويلة فى التليفون ؟ .
- وهنا تدخل بواسييه قائلاً وهو يحدجها بنظراته :
- ربما لم يخبرك الفريد بذلك .
- وما هو الباعث لى على اختلاق هذه الرواية ؟ او تظن ذلك أيضاً يا مسيو ميجرية ؟ .
- انا لا اظن شيئاً .

قال ميجرية ذلك وهو يتنسم في قمون في وكان يحس في
يجلسته هذه بكل معاني الراحة والسعادة . لقد كان قدح البيرة
الموضوع امامه ، مثلجا منعشا تفوح منه رائحة هي اقرب ما تكون
لكلك الرائحة التي تنتشر في جو الريف وتسرى مع نسيمه .
ولعل ذلك يرجع الى قرب المكان الذي يجلسون فيه من غابة
بولوني .

وقضوا ما بعد الظهيرة في تراخي الكسل ، ياتون على
أقداح البيرة ، الواحد تلو الآخر ، وبعد أن آن الاوان لتركهم المكان
فقدروا المقهى في طريق عودتهم الى باريس . ورأى ميجرية انه
يحسن بهما اضطحاب الفتاة معهما ، حتى لا يتركاها بعيدا عن قلب
باريس . وتركتهما عند شاتيليه بعد أن قال لها ميجرية :

— اتصلي بي تليفونيا بمجرد استلامك لرسالة منه .

واحس منها بأن رجاءها فيه قد خاب ، وبأنها كانت ترى فيه
شخصا آخر غير ما واثه . وتنبأ بأنها لا بد محدثة نفسها ، بأنه قد
تقدمت به السن ، وبأنه لم يعد بأفضل من غيره من رجال الشرطة
ولذلك فلن يحرك ساكنا لكشف غوامض هذه القضية .

وبعد أن أصبحتا وحيدتين ، اقترح بواسييه قائلا :

— هل يستدعي الأمر أن أوجل القيام بأجازتي ؟

— ما أظن إلا أن زوجتك قد أعدت للأمر عدته ؟

— ان الحقايب فعلا بالمحطة . فقد كان من المفروض أن نسافرن

بقطار الساعة السادسة صباحا .

— ومعكما ابنتك ؟

— طبعا .

— إذن . . فعلى بركة الله .

— ألن تكون بحاجة الى ؟

— يكفيني القائمة التي قدمتها لي .

وماد وحيدا الى مكتبه ، وكاد يغفى في مقعده . فقد ولت
الفراشة التي كان يتسلى بها وذهبت . ومالت الشمس في
الناحية الأخرى من واجهة المبنى . ولما كان لوكاس غير موجود

لقد رأى أن يدعو لمقابلته جانفييه الذى عاد من اجازته حيث كان أول من قام بها فى شهر يونيو لحضور حفل زواج فى أسرته .

- اجلس . عندى مهمة لك . هل قدمت تقريرك ؟ .

- لقد انتهيت منه الآن .

- حسنا ! اكتب مذكرة بما سأكلفك عمله . أولا ، عليك أن تبحث بمجلس مدينة نويللى عن اسم ولقب سيدة هولندية تزوجت من رجل يدعى جيلوم سيريه منذ عامين ونصف . العنوان ٤٣ شارع دى لافيرم .

- هذا موضوع سهل .

- ربما . وكانت هذه السيدة تعيش فى باريس فترة ما . . .
وعليك ان تحاول الكشف عن محل اقامتها ، وعن عملها ، وعن لها من اقارب ان وجدوا ، وعمما كانت تملك ، الى آخر تلك المعلومات . . .

- حسنا . . !

- ومن المفروض انها تركت منزلها فى شارع دى لافيرم يوم الثلاثاء ما بين الثامنة والتاسعة مساء واستقلت القطار الى هولاندا . كما انها ذهبت بنفسها لاستحضار سيارة اجرة من ناصبة شارع ريتشارد والاس لنقل حاجياتها .

ودون جانفييه كل ذلك فى مفكرته ، ثم استفسر من رئيسه ؟
- اهذا كل ما فى الامر ؟ .

- لا . اليك بعض التوجيهات التى قد تفيدك اختصارا للوقت . اريد ان تستجوب الجيران عن معلوماتهم بشأن آل سيريه .

وكم يبلغ عددهم ؟ .

- ام وابنها . الام فى حوالى الثمانين من عمرها . والابن طيب اسنان . وحاول ان تهتدى الى سيارة الاجرة ، كما يجب

أن تجمع بعض المعلومات من عمال المحطة والقطار ، وتقوم ببعض التحريات التي قد تنفعنا .

— هل ستسمح لي بسيارة للانتقال بها ؟ .

— نعم .

وكان هذا هو كل ما قام به بعد ظهر ذلك اليوم . اللهم الا ما قام به من الاتصال بشرطة بلجيكا واعطائهم بيساننا بأوصاف فريدي الحزين . وما كان من حديثه التليفونى الطويل مع مفتش الجوازات المقيم بمدينة جومونت عند الحدود . والذي علم منه انه هو الذى قام بنفسه بمقابلة هذا القطار عند الحدود ، والذي يتفق ميعاد وصوله مع ميعاد القطار الذى قيل عنه ان الفريد استقله من محطة الشمال ، واكد له انه لا يذكر انه رأى بين ركاب هذا القطار شخصا تنطبق اوصافه على محطم الخزائن المحترف .

ولم يكن كل ذلك ليعنى عنده شيئا . فما عليه الا ان يترقب وينتظر . وبعد ان وقع ميجريه بعض الاوراق نيابة عن المدير العام توجه الى بار دوفين مع رئيس قسم السجلات حيث تناول شرابا منعشا ثم عاد الى منزله .

وسألته السيدة ميجريه بعد ان فرغا من طعامهما :

— كيف سنقضى المساء ؟ .

— هيا بنا نقوم بجولة .

وقاما بجولتهما فى بعض الشوارع الرئيسية . وانتهى بهما المطاف الى شرفة أحد المقاهى . وكانت الشمس قد غربت . وبدأت حرارة الجو تخف حدتها ، وهب النسيم منعشا لطيفا . وجلس رواد المقهى فى صمت يستريحون مما كانوا يعانونه من حياتهم اليومية ، ويستمعون لأنغام الموسيقى التى كانت تصل الى مسامعهم من داخل المقهى . وأضاءت المكان انوار الاعلانات ومصابيح الليل المتلألئة ، فبعثت فى الجو روحا من حياة الليل بعد ركود الغروب .

وعادا الى المنزل كما عاد قيرهما الى بيته ، وانقضى يوم ليعقبه
يوم آخر من أيام الحياة .

وكان اليوم التالي كسابقه ، وبدا صباحه صافيا مشمسا .
وبدلا من أن يتوجه ميجرية الى الادارة ، صرح على رصيف دى
جيماب حيث وجد المقهى المجاور لسانت مارتن بلافتته التقليدية
« وجبات خفيفة ليلا ونهارا » ، وقرر ان يدخل تنفيذيا لما عقد
العزم عليه ، وقصد توا الى المنضدة الموضوع بجوارها التليفون
وقال للساقى :

- الى بكأس من النبيد الابيض .

وبدون مقدمات وجه سؤاله الذى دخل من اجله ، فأجابه
الرجل فورا :

- لست اذكر متى كان ذلك على وجه التحديد . غير اننا
سمعنا رنين التليفون فعلا . وكان ضوء النهار قد بدا ينتشر .
ولم اكلف نفسى عناء التوجه للرد على النداء . . وكذلك زوجتى
المبكر . ثم سمعنا ارنستين تهبط على الدرج لتجيب النداء الذى
لاننا كنا نعلم انه لا يمكن ان يكون ذلك لنا فى مثل هذا الوقت
كان لها فعلا . ولاحظت انها قضت وقتا طويلا فى حديثها .

اذن فقد كان ما قالته لوفتى عن هذه النقطة حقا .

- ومتى خرج الفريد فى الليلة التى سبقت هذا الحديث
التليفونى ؟ .

- فى الحادية عشرة او اقل قليلا . واذكر انه خرج بدراجته .

ومن باب المقهى المؤدى الى الدهليز ، خرج ليجرية ليرتقى
الدرج الى الطابق الاول ، حيث طرق احد الابواب .

وانفرج الباب قليلا ، وظهرت فى فرجته ارنستين بملابسها
الداخلة .

- اهو انت ؟ !

واسرعت لتكمل ملابسها ، وابتسم متجريا قيسا بينه وبين نفسه وكأنه يقول :

- اهذه دائما ارنستين كما تعودت ان تكون ؟
وسمعها تصارحه بقولها :

- انه لعطف كبير منك . ان زيارتك لى هى آخر ما كنت انتظره .

وكانت نافذة الحجرة مفتوحة على مصراعها . ولاحظ ان اغطية الفراش من اللون الاحمر . ومن البساط الصغير المؤدى للمطبخ وصلت الى انفه رائحة القهوة التى كانت تعدها لنفسها . ولم يكن قد تحقق بعد مما اتى به الى هذا المكان ودفعه لزيارتها .

- الم يصلك شيء عن طريق البريد بعد ؟

فاجابت فى قلق :

- لا شيء .

- الا ترين فى هذا ما يدعو للعجب ؟

- لعله لم يجسد الفرصة المواتية بعد . ولعله بظن اننى موضوعة تحت المراقبة . ثم ان عدم كتابة شيء عن الحادث فى الصحف يزيد الأمور تعقيدا فى نظره . لقد كنت فى طريقى الى مكتب البريد .

ورأى صندوقا قديما فى ركن من الغرفة . فأشار اليه قائلا :

- هل هذا من متعلقاته ؟

- انه لنا معا . فليس هناك ماله ومالى . اننا لا نملك الكثير
وبنظرة ثابتة قالت له :

- هل تريد تفتيش الصندوق ؟ هذا امر طبيعى فذلك من مستلزمات عملك كما اعرف . لن تجد غير بعض المعدات والادوات مما يحب الفريد ان يحتفظ به . كما ستجد بعض الثياب القديمة وقليل من الملابس الداخلية .

وبينما كانت تقول ذلك ، كانت تلقي بمحتويات الصندوق
على ارض الحجرة ، وتفتح ما وجد من ادراج فى الفرفة .

لقد فكرت فى الامر مليا . وادركت ما كنت تعنيه بحديث
الامس . وليس من شك فى ان هناك من لا يقول صدقا . فقد
يكون المعنى بذلك الفريد ، او الام وابنها ، وقد اكون انا . ومن
حقك الا تصدق احدا منا فيما تقول .

- الا يوجد لالفريد اقارب بالريف ؟

- انه لا يعرف اقارب له فى اى مكان . فهو لم يعرف قسما
والدته التى توفيت منذ عشرين عاما .

- الم تذهبيا معا الى اى مكان خارج باريس ؟

- لم نذهب ابعد من كوربيل .

واستبعد ميجرية ان يختار الفريد «كوربيل» مكانا بلجا اليه
لما استبعد ذهابه الى بلجيكا فى الوقت نفسه .

- الم يتحدث امامك عن مكان معين كان يتوق لزيارته ؟

- كان يتحدث دائما عن الريف . عن الريف بصفة عامة ،
ولم يخص منه مكانا معيننا بالذات .

- وهل كنت من مواليد الريف ؟

- نعم . ولدت فى قرية تدعى سانت مارتن دى بريه بالقرب
من سيفرس .

وفتحت احد الادراج واخرجت منه صورة فوتوغرافية لكنيسة
القرية .

وهل سبق له ان راي هذه الصورة ؟

وفهمت ما يعنيه بسؤاله هذا لانها كانت تمتاز بدهن لامح
وادراك واع . . فقالت له

.. انه لما يبحث على الدهشة ان اجده هناك . فقد اتصل بى
تليفونيا فى ذاك الصباح من مكان قريب من محطة الشمال فعلا .

ـ وكيف تأتي لك أن تتأكدى من ذلك ؟ .
ـ لأننى اهتديت الى المقهى الذى حدثنى منه . . وهو فى شارع دى موبيج بالقرب من حانوت لبيع المصنوعات الجلدية .
ويطلق على هذا المقهى اسم «بار دى ليفانت» . وقد قابلت مالكه
أمس مساء ، وعلمت منه انه يذكر ذلك جيدا ، لأن الفريد كان
أول من دخل المقهى فى ذاك اليوم . هل لك فى قدح من القهوة ؟ .
ولو لم يكن قد تناول كأسا من النييد الأبيض ، ما رفض هذا
العرض . فاعتذر عن قبوله راجيا اعفائه منه .

وخرج فى طريقه الى «بار دى ليفانت» ، مستقلا احدى
سيارات الأجرة التى وجد صعوبة فى العثور عليها بمثل هذا
الحى .

ـ انه رجل ضئيل الجسم ، تكسو وجهه مسحة من الجزن ،
احمر العينين وكأنه قضى ليله كله باكيا .
بهذا وصفوه له .

ولم يعد هناك شك فى ان المقصود بذلك هو الفريد جوسيوم
الذى يمتاز ، علاوة على ما يمتاز به ، باحمرار عينيه .

ـ ولقد قضى وقتا طويلا وهو يتحدث فى التليفون ، واحتسى
قدحين من القهوة «السادة» ، ثم اتجه صوب المحطة وهو ينظر
بعمق ويسرة وكأنما كان يخشى ان يتبعه احد . هل ينسب اليه
خطأ ما ؟ .

وما ان وافت الساعة العاشرة صباحا ، حتى كان ميجريه
يصعد فى الدرج بالادارة العامة فى طريقه الى مكتبه . وعلى
إخلاف عادته فى كل يوم ، لم يلق بنظرة على حجرة الانتظار ، بل
تجاوزها الى مكتب ضباط النوبة «النوبتجية» حيث سأل من
جانبيه فقليل له .

ـ لقد حضر فى الثامنة ، ثم انصرف بعدها بقليل ، وترك لك
مذكرة على مكتبك .

وهناك وجد المذكرة التالية :

« تدعى السيدة باسم ماريا فان أيرتس . وتبلغ من العمر ٥١ عاما . وهى من بلدة سنك فى فرايزلاند بهولندا . . انا فى طريقى الآن الى نوبللى حيث كانت تعيش فى أحد الفنادق بشارع لونغشامب ، ويقوم الزميل فاشير ، بجمع التحريات الخاصة بالمحطة .

وفتح جوزيف الحاجب ، الباب قائلا :

- لم اتنبه لحضورك يا مسيو ميجرية . ان سيدة بانتظارك منذ نصف ساعة .

وقدم اليه طلب المقابلة ، الذى سطرت السيدة بيديه اسمها فيه ، بخط دقيق أنيق . وبينما كان ميجرية يتأمله مفكرا ، قطع عليه جوزيف حبل أفكاره قائلا :

- هل ادعوها للدخول ؟

وقبل أن يجيب بشيء ، اتجه لفتح النافذة ، وملاً غليونه تبغا ثم جلس الى مكتبه قائلا :

- دعها تدخل .

وتساءل قبل أن تدخل ، عما قد تبدو به هذه السيدة خارج محيط منزلها . ودهش عندما وافاه الرد على تساؤله بدخولها مرتدية غير ما تخيلها به . حيث خلعت عنها الثياب السوداء مستبدلة بها ثوبا أبيض بنقوش سوداء . وكانت تضع على رأسها قبعة منجانسة مع ثوبها . وتقدمت اليه بخطوات ثابتة تحكى لثقتها بنفسها .

- ما أظن الا انك كنت تتوقع قدمى اليسك . اليس كذلك يا سيدى ؟

وفى الحق انه لم يكن يتوقع ذلك . الا انه فضل الا يصارحها بشيء .

- تفضلى بالجلوس يا سيدتى .

- شكرا .

- لعل التدخين لا يضايقك ؟

- ان ابني لا يقلع عن تدخين السيجار طوال اليوم . لقد ضايقتنى الطريقة التى استقبلكما بها بالأمس . ! وحاولت جاهدة ان اشير اليك حتى لا تلج فى اسئلتك لاننى أعرفه على حقيقته .

وكانت هادئة متمالكة لأعصابها . تنتقى كلماتها فى تودة وعناية . وهى تحرص على الابتسام من وقت لآخر . ابتسامه كانت تحمل ما أرادت أن تعنيه بأنها فى صف ميجرية أكثر مما تكون فى صف ابنا .

- اننى المسئولة عن سوء خلقه . فقد نشأته نشأة الطفل المدلل . حيث لم يكن لى من ولد غيره . لقد توفى زوجى وخلفه لى ولما بلغ سبعة عشر ربيعا . فأصبح جيلوم ، قبل الأوان ، رجل المنزل . . .

وكان ميجرية فى أثناء حديثها ، يحاول أن يستشف مكونات نفسها وحقيقة غرضها ، ولكنه لم يستطع الى ذلك سبيلا ، فسألها قبل أن تستمر فى حديثها :

- هل ولدت فى باريس ؟

- فى نفس البيت الذى كنت فيه بالأمس .

- وزوجك ؟

- كان والده محاميا فى شارع دى توكفيل ، بالدائرة السابعة عشرة .

- وقد عشنا أنا وولدى بمعزل عن غيرنا ، الأمر الذى جعل منه رجلا غير اجتماعى .

- لقد فهمت منك انه كان متزوجا من قبل .

- نعم . وقد توفيت زوجته فى سن مبكرة .

- بعد كم سنة من زواجهما كان ذلك ؟

وتحركت شفاتها لتتكلم ، ثم توقفت فجأة ، وكان خاطرا قد تبادر الى ذهنها فعدلت مؤقتا عما كانت تريد قوله ، بل لقد لاحظ ان وجنتيها قد اصطبغت بحمرة الخجل ، على قدر ما سمح به سنها . وأخيرا قالت :

- بعد سنتين . ان الامر ليبدو غريبا . اليس كذلك ؟ لقد تبادر هذا الى ذهني الآن . . لان حياته مع ماربا دامت لعامين ايضا .
- ومن كانت زوجته الاولى ؟ .

- كانت من احسن الاسر ، وقد التقينا بها في موسم الصيف في ديب ، حيث كنا نقضى الصيف في كل عام . وكانت تدعى جين ديفوازين .

- وهل كانت اصغر منه سناً ؟ .

- كان ولدي في الثانية والثلاثين . وكانت هي في نفس هذه السن تقريبا . لقد كانت متزوجة من قبل .

- وهل رزقت باطفال من قبل ؟ .

- لا . واعتقد انه لم يكن لها اقارب ما . الا الأخت الوحيدة التي تقيم بالهند - الصينية .

- وما هو السبب في وفاتها ؟ .

- ازمة قلبية . فقد كانت مريضة بالقلب ، وقضت معظم حياتها تحت رعاية الأطباء .

وعادت تبسم مرة اخرى :

- اننى لم اطلعك بعد على سبب حضوري ، وقد فكرت في الاتصال بك تليفونيا أمس ، عندما خرج ولدي لجولته المسائية . الا اننى عدلت عن ذلك ورأيت انه قد يكون من الاوفق ان احضر لمقابلتك . . وذلك لاعتدادي بما بدر من جيلوم ، ولأقرر لك ان ما فعله لم يكن مقصودا به شخصك . انه سيء الخلق . . حاد الطباع .

— هذا ما لمسته بنفسى فعلا .

— لقد كان هذا حاله عندما كان صبيا صغيراً .

— لقد كذب فيما قاله لى . اليس كذلك ؟

— عفوا يا سيدى . ماذا ؟

واكتسى وجه السيدة بمسحة من الدهشة التى بدت حقيقية
غير مصطنعة .

— وما هو الدافع لأن يكذب ؟ . اننى لا أفهم . انك لم توجه
اليه أى أسئلة . وما دفعنى للحضور الا ذلك ، ولاضع نفسى تحت
تصرفك فى أى سؤال ترغب فى توجيهه ، فليس لدينا ما نخفيه
عنك . كما اننى لا يوجد عندى اية فكرة عن الظروف التى دعمتك
لتشغل نفسك بنا . فقد يكون هناك لبس فى الأمور ، وقد يكون
ذلك بناء على وشاية من الجيران .

— متى تحطم زجاج النافذة ؟

— لقد أخبرتك بذلك . ام لعل ولدى الذى أخبرك بذلك ؟
فلست متأكدة من هذا . . لقد تحطم الزجاج عند هبوب العاصفة
فى الاسبوع الماضى ، وكنت حينئذ فى الطابق الثانى ، ولم أكن
قد أغلقت جميع النوافذ حين هبت العاصفة فجأة ، فسمعت وأنا
فى مكانى صوت زجاج يتحطم .

— وهل كان ذلك فى وضع النهار ؟

— حوالى السادسة مساء .

— بمعنى أن المرأة الخادم اوجينى ، كانت قد انصرفت بعد
الانتهاء من عملها ؟

— انها تنصرف فى الخامسة مساء . وأظن اننى سبق أن
أوضحت لك هذا ايضا . اننى لم أخبر ولدى بأننى قادمة لمقابلتك
لأننى اعتقد أنك قد تفضل زيارة المنزل مرة اخرى عندما لا يكون
موجودا .

– اتعنين بذلك أن تكون الريارة فى اثناء قيامه بجولته
المسائية ؟ .

– نعم . . انك تفهم الآن انه لا يوجد لدينا ما نخفيه . ولو لم
يتصرف جيللوم كما تصرف أمس ، لتكشف لك كل شىء فى حينه .

– هل قدمت الى هنا يا سيدتى بمحض ارادتك ؟ .

– نعم . . وبدون ادنى شك .

– وانك أنت وحدك من ترفبين فى أن أوجه لك ما اشاء من
أسئلة ؟ .

فأومات برأسها بالإيجاب تأكيداً لهذا .

– اذن فلنبداً من تلك الساعة التى كنتم الثلاثة تتناولون
طعامكم فيها معا . سبق أن تحدثت بأن حقائب زوجة ابنك كانت
بعدة . . ففى أى مكان من المنزل كانت موضوعة .

– فى الردهة . .

– ومن قام بحملها الى الطابق الأرضى ؟ .

– أوجينى قامت بنقلها كلها ، ماعدا الصندوق الذى قام ابنى
بحمله ، لانه كان أثقل من طاقة أوجينى .

– اهو كبير الى هذا الحد ؟ .

– نعم . . انك تعرف هذا النوع . لقد كانت ماريا قبل زواجها
من هواة السفر والانتقال . لقد عاشت من قبل فى ايطاليا وفى
مصر .

– وماذا اكلتم ؟ .

ويلوح انها شعرت بالسرور وبالدهشة معا على اثر توجيهه هذا
السؤال .

– لحظة حتى استعيد ذلك ! . وسييسر لى الامر ، اننى انا

التي اقوم باعداد الطعام . . شورية تخضار اولاً ، لانها مفيدة للصحة . ثم لحم بالبطاطس .

ـ والحلوى ؟ .

ـ كاستارد بالشيكولاته . لان ولدي مقرم بها .

ـ وهل اثرت ابة مناقشة حول المائدة ؟ . ومتى انتهيتم من تناول الطعام ؟ .

حوالي السابعة والنصف . وبعدها اعدت الصحاف الى مكانها وصعدت الى الطابق الاعلى .

ـ وهكذا لم تحضري رحيل زوجة ابنك .

ـ لقد رغبت عن ذلك . لان مثل هذه المواقف ، غالباً ما تكون مدمعة للألم . وترانى افضل دائماً تجنب مثل هذه المواقف . لقد ودعتها فى حجرة الضيوف قبل ان اصعد للطابق العلوى . انى لا احمل لها فى نفسى غير كل تخير .

ـ واين كان ولدك فى اثناء ذلك ؟ .

ـ فى حجرة المكتب على ما اذكر .

ـ ألم يدر بينه وبين زوجته قبل رحيلها حديث ما ؟ .

ـ لا اعتقد ذلك . فقد عادت الى حجرتها حيث سمعتها تستكمل تأهبها .

ـ ان بيتكم من تلك البيوت المتينة البنيان كمعظم المباني القديمة . واظن انه ليس من اليسير ان يسمع المرء فى الطابق الثانى شيئاً مما يقع فى الطابق الاسفل ؟ .

ـ ان هذا لا ينطبق على .

ـ ماذا تعنين بذلك ؟ .

ـ اعنى انى اتمتع بسنبح مرهف حاد . ولا يقوتنى ان اسمع الصوت المنبعث من الأخشاب تحت اقدام السائرين .

- ومن الذى توجه لاستحضار سيارة الاجرة ؟ .
- ماريا . . لقد قلت ذلك بالامس .
- وهل مكثت فى الخارج فترة طويلة ؟ .
- نعم . . اذ من العسير ان تجد سيارة اجرة فى ناحيتنا .
- وما عليك الا ان تنتظر مرور احداها .
- هل شاهدت رحيلها من النافذة ؟ .
- فترددت قليلا ثم اجابت :
- نعم . .
- ومن الذى حمل الصندوق من المنزل للسيارة ؟ .
- السائق .
- الا تذكرين شيئا عن الشركة التى تتبعها السيارة ؟ .
- وانى لى ان اعرف هذا ؟ .
- ماذا كان لونها ؟ .
- بنى مع احمر .
- هل يمكن ان تتعرفى على السائق ؟ .
- الى حد ما . . لقد كان قصيرا بدين فيما اذرت .
- وماذا كانت ترتدى من ثياب عند رحيلها ؟ .
- كانت ترتدى ثوبا بنفسجيا .
- ألم تكن تضع معظفا ؟ .
- كانت تحمله على ذراعها .
- وهل كان ولدك بحجره المكتب فى ذلك الوقت ؟ .
- نعم . .
- وما الذى حدث على وجه التحديد ؟ . هل عدت الى الطابق
الاول ؟ .
- لا . .

- ألم تتوجهي الى حيث كان ولدك ؟ .
- كان هو الذي حضر الى .
- مباشرة ؟ .
- لم يكن ذلك بعد انصراف السيارة بكثير .
- هل كان متجهما ؟ .
- كان كما رأيته بالأمس . انه هكذا دائما . وكما سبق أن قلت لك ، فهو رجل شديد الحساسية متوتر الأعصاب كثيره اقل الأحداث شأنا .
- وهل كان يعلم ان زوجته لن تعود اليه ؟ .
- كان يشك في ذلك .
- وهل اشارت الى شيء من هذا القبيل ؟ .
- ليس هكذا تماما . لقد لاحظنا بعض التلميحات في حديثها حين لآخر . . فقد تحدثت من حين لآخر عن ضرورة تغيير آرائها بشأن زيارة بلادها مرة اخرى . . فما أن تضع قدمها هناك حتى . . .
- وماذا فعلت بعد ذلك ؟ .
- قمت بتصنيف شعري استعدادا لفترة الليل .
- وهل كان ابنك معك في غرفتك ؟ .
- نعم . .
- ألم يترك المنزل بعد ذلك ؟ .
- نعم . . لم يتركه . . وما هو الداعي ؟ .
- وأين يقع « جراج » سيارته ؟ .
- على بعد مائة ياردة ، حيث حولت بعض الاصطبلات القديمة الى جاراجات ، قام جيلوم باستئجار أحداها .
- اذن فمن الممكن ان يخرج بسيارته وان يعود بها دون ان يراه احد ؟ .

- وما الذى يدعو له مثل ذلك ؟ .
- وهل عاد الى الطابق الارضى مرة اخرى ؟ .
- لست ادري . . واظنه فعل ذلك . اننى آوى الى فراشى
هبكره . . اما هو فيقرأ حتى الحادية عشرة او منتصف الليل .
- فى حجرة المكتب ؟ .
- او فى غرفة نومه .
- وهل تقع بالقرب من غرفة نومك ؟ .
- ان غرفته بجوار غرفتى مباشرة ، ويوجد بينهما حمام
مشترك .
- وهل شعرت به وهو ياوى الى فراشه ؟ .
- بكل تأكيد .
- ومتى كان ذلك ؟ .
- لم اتحقق من هذا .
- ألم يصل الى سمعك شيء بعد ذلك ؟ .
- نعم . . لم يصل مطلقا .
- اظن انك اول من يهبط الى الطابق الارضى فى الصباح ؟ .
- من عادتى ان اهبط فى السادسة والنصف عندما يحل
اقص الصيف .
- وهل تطوفين بجميع غرف المنزل ؟ .
- توجهت اولا الى المطبخ حيث وضعت قليلا من الماء ليغلى ؟
ثم قمت بفتح النوافذ لينفذ منها الهواء المنعش البارد الى المنزل .
- وهل دخلت حجرة المكتب ؟ .
- يحتمل .
- الا تذكرين على وجه التحديد ؟ .
- يغلب على ظنى اننى قمت بذلك .

- وهل كان الزجاج المحطم قد تم اصلاحه حينئذ ؟ .

- اظن ذلك . . نعم . .

- ألم تلاحظى أى شىء غير طبيعى فى نظام الفرقة ؟ . او لم يسترع نظرك شىء من هذا القبيل ؟ .

- لا شىء من ذلك مطلقا . لم يكن هناك الا بعض بقايا لفافات التبغ ، وبعض الكتب الموضوعه هنا وهناك كما هى العادة . مسيو ميجرية ، اننى لم أفهم حتى هذه اللحظة ما يعنيه كل ذلك . ولقد رأيت اننى أجيب عن أسئلتك بكل صراحة ، لأننى قدمت الى هنا من اجل ذلك فقط . .

- لقد حضرت لان القلق كان يستبد بك ؟ .

- لا . . لقد حضرت لأننى خجلت من سلوك جيلوم معك اولا ، ولأننى شعرت بأن زيارتك كانت تخفى سرا غير ما عللتها به . ان النساء لسن كالرجال بحال ما . فعندما كان زوجى معى ، مثلا ، وكنا نسمع أى صوت بالمنزل ليلا ، لم يكن ليتحرك من فراشه ، وكنت انا أنهض لأرى ماذا هناك . هل تدرك ما اعنى ؟ . ولعل هذا هو الحال معك ومع زوجتك ! . ومدفوعة بمثل هذا الشعور حضرت . . لقد كنت تتكلم عن حادث السطو . ولكنك كنت معنيا بموضوع مارييا أصلا .

- ألم تصلكم انباء عنها ؟ .

- ما كنت لأترقب شيئا من هذا القبيل . انك تخفى بعض الحقائق ، وهذا ما يجعلنى اتحرق شوقا لمعرفةا . تماما كما هو الحال بالنسبة لتلك الأصوات التى تسمعها فى الليل . فهى لم تعد تتحمل هذا الغموض الذى يحيطونها به . انها اصوات حسية تبدو فى غاية البساطة فى نهاية الأمر اذا ما كلفنا أنفسنا عناء الكشف عنها واستجلاء غوامضها .

وراحت تتأمله تأمل الوائية بنفسها ، التى تعرف تماما أين تضع قدميها . وانتاب ميجرية شعور بأنها لا ترى فيه اكثر من

طفل ، وانه لم يعد امامها باكثر من جيلوم آختر . ونخيل اليه انها تقول له بهذه النظرات :

- خبرنى بكل ما يعتمل فى نفسك من قلق ولا تخش جانبى .
فان فعلت ذلك ، فسترى ان الامور ستتكشف وينجلى امرها .
وقام بدوره ، بتثبيت عينيه على وجهها ، ، قبل ان يلقى
بقنبلته قائلا :

- لقد اقتحم رجل منزلكم فى تلك الليلة .

وما ان سمعت ذلك منه ، حتى حملت فى وجهه غير مصدقة ،
ومشفقة عليه فى الوقت نفسه ، وكأنه بقوله هذا اصبح فى نظرها
أحد المؤمنين بالخرافات .

- لاي سبب ؟ .

- ليسرق ما فى الخزانة .

- وهل تم له ذلك ؟ .

- لقد دخل المنزل بعد تحطيمه لزجاج احدى النوافذ .

- زجاج النافذة الذى تحطم فى اثناء العاصفة ؟ . لا بد انه
اعاد تركيبه بعد ذلك ؟ .

- ولاحظ انها ما زالت مصرة على الا تحمل ما يقول على محمل
الجد . .

- وماذا اخذ معه ؟ .

- انه لم يتمكن من سرقة ما كان يبقى لأن ضوء مصباحه قد
اكشف له عن شيء لم يكن ليتوقع ان يجده فى تلك الفرقة .

ولم تترك ابتسامتها .

- وما هو هذا الشيء ؟ .

- جثة امرأة متوسطة العمر . . ويرجح أن تكون جثة زوجة

إينك .

- وهل هو الذى أخبرك بذلك ؟
وتأمل اليدين الثابتتين فى قفازيهما الأبيض ولم يعقب .
- ولماذا لا تطلب من هذا الرجل أن يحضر بنفسه ويواجهنى
بما يدعيه ؟

- لأنه ليس فى باريس فى الوقت الحاضر .
- الا يمكنك أن تعمل على حضوره هنا ؟

وفضل ميجريه ألا يعقب بشيء ، لأنه لم يكن راضيا عن نفسه
وبدا يتساءل عما اذا كان لم يتأثر بعد بسحر هذه المرأة ، التى
كانت أقرب ما تكون جلالاته وقدسيتها من الأم الكبرى .
وظلت فى مقعدها ثابتة كالطود لم تتحرك ولم تبدر منها
إخالجة .

- لا زلت هائمة فى ببداء جهلى بكل ما يعنيه ذلك . ولن أتح
عليك بأستئتى . ولعل عندك من الأسباب ما يحملك على تصديق
هذا الرجل فيما يقول . انه من اللصوص . اليس كذلك ؟ . أما
أنا فامرأة قد بلغت من العمر ثمانية وسبعين عاما دون أن تلمس
أحدا بضرر ما .

- أما وقد وصلنا الى ما وصلنا اليه ، فلتسمح لى ، بأن أدموك
من كل قلبى لتشريف منزلنا ، حيث سأفتح لك كل باب على
بصراعيه ، وسأطلعك على كل ما تريد الاطلاع عليه . وأما عن
ولدى ، فبمجرد ان يعلم بكل هذه الوقائع ، فلن يتأخر مطلقا عن
إجابتك عن أى سؤال توجهه اليه .

- منسيو ميجريه ، متى ستحضر ؟
وعندئذ نهضت من مقعدها ، ووقفت أمامه ، وكما كانت طوال
الفترة جلوسها ، لم يتغير من حالها شيء ، اللهم الا لمسة خفيفة من
الشعور بالمرارة .

- قد يكون ذلك بعد الظهر . فلست متأكدا بعد . هل استعمل
ولدك سيارته خلال الايام القليلة الماضية ؟

- يمكنك أن تسأله عن ذلك إذا أردت .
وهل هو بالمنزل الآن ؟ .

- ربما . . لقد تركته بالمنزل عندما خرجت .
- وأوجيني أيضا ؟ .
- لا بد أنها لم تزل هناك .
- شكرا . . .

وصحبها حتى الباب . وما أن وصلا إليه حتى استدارت قائلة
فى دعة :

- لى عندك رجاء . . لست أطلب منك إلا أن تضع نفسك فى
مكانى ، بعد ذهابى ، وتنسى فترة ما ، أنك قضيت حياتك تعالج
الجريمة ، وتصور لنفسك أنك تواجه هذا الاتهام الذى واجهتني
به ، الاتهام بارتكاب جريمة قتل فى هدوء عمدا .

وبذلك انتهت محادثات هذه الجلسة ، ولم تتجاوز قولها أخيرا :
- الى ما بعد ظهر اليوم ، يا مسيو ميجرية .

وما أن أغلق الباب خلفها ، حتى وقف فى مكانه لا يتحرك
دقيقة . ثم اتجه الى النافذة يطل منها ، فوقع بصره على السيدة ،
وهى تسرع بخطواتها تحت أشعة الشمس ، متجهة الى جسر
سانت ميشيل .

ورفع سماعة التليفون قائلا :

- اريد الاتصال بمركز الشرطة فى نويللى .
ولم يطلب الاتصال بالضابط المختص ، بل طلب رقبيا كان
يعرفه .

- فأنو ؟ . أنا ميجرية . . شكرا . . بخير . انتبه لما أنا قائل
لأنه أمر دقيق جدا . . استقل احدى السيارات فورا وقم الى
المنزل ٤٣ ب شارع دى لافيرم .

- منزل طبيب الأسنان ؟ . لقد حدثنى عنه چانثييه امس
مساء . بشأن السيدة الهولندية . اليس كذلك ؟ .

• لا عليك من ذلك الآن • فالوقت ضيق • ان الرجل ليس
ممن يسهل التعامل معه ، لأنه صعب المراس • ولا يستطيع ان
استصدر أمرا بالقبض عليه في الوقت الحاضر • عليك ان تتصرفه
بسرعة ، قبل ان تعود والدته الى المنزل •

وهل هي في مكان بعيد ؟ •

• انها الآن عند جسر سانت ميشيل • واعتقد انها ستستقل
أحدى السيارات •

• وماذا انا فاعل بالرجل ؟ •

• اصطحبه معك الى المركز • واخترق اى سبب لذلك • قل
له انه مطلوب لسماع شهادته • • اى شيء •
• وبعد ذلك ؟ •

• وبعد ذلك ساكون موجودا • ولن يستغرق منى هذا اكثر
من مسافة الطريق •

• فاذا ما فرضنا ان الطبيب غير موجود بالمنزل ؟ •

• تراقب المنزل ولا تدعه يدخل اليه بحال ما •

• تصرف لا ينطبق على التعليمات • اليس كذلك ؟ •
• للغاية ! •

وعندما كان فانو بهم باعادة السماع الى مكانها اضاف
ميجريه :

• اصطحب معك احدا من زملائك وكلفه مراقبة الاصطبلات
التي حولت الى « جاراجات » في نفس الشارع • لان الطبيب
يستاجر احد هذه « الجاراجات » •
• فليكن •

وبعد قليل ، كان ميجريه يهبط من الدرج مسرعا في طريقه
الى احدى سيارات الشرطة التي استقنها ليلحق بفانو في الوقت
المناسب • وعند ما كان ينمط بالسيارة في اتجاه جسر سيف ؟
تخيل اليه انه لمح قبعة ارنستين الخضراء • ورأى ان يتابع سيره

حتى لا يضيع وقتنا . وشعر اتي هذا الوقت بالذات ؟ بحقيقة اتي
نفسه ضد لوفتى .

وعاد بعد أن انتهى من عبور جسر نيف ، يراجع نفسه فيما
صدر عنه ويندم على ما كان منه ، وكان ذلك بعد فوات الأوان ،
فليس فى الامكان تدارك الامر ! وما عليها الا أن تنتظر عودته .

الفصل الرابع

يقع مركز الشرطة فى الطابق الأرضى بمبنى البلدية . وهو
من تلك المباني القديمة ، المقامة على ارض فضاء تحوطها اشجار
متقاربة باسقه . وكان المفروض أن يتجه ميجريه مباشرة الى
مكتب الضابط المنوب . ولكنه آثر أن يسلك طريقا خلفيا ، حتى
لا يجد نفسه وجها لوجه امام جيلوم سيريه ، قبل أن يرتب اموره
وبعد أن جاس خلال مختلف الدهاليز ، التقى باحد رجال
الشرطة ممن يعرفونه . فسأله ميجريه مستفسرا :
- اين اجد الرقيب فانو ؟ .

- الباب الثالث فى المشى الثانى على اليسار .
- هل لك ان تذهب فى استدعائه ؟ انه لن يكون بمفرده .
احرص على عدم التفوه باسمى بصوت مرتفع .

وما هى الا فترة قصيرة ، حتى وافاه فانو مسرعا .
- هل حضر معك ؟ .

- نعم .

- وكيف تصرفت فى الامر ؟ .

- حرصت على ان اذهب مزودا بطلب خضروات .

- وكيف سسارت الامور ؟ .

- بين بين . . فبمجرد أن فتحت الخادم الباب ، طلبت منها
ان تخطر سيدها ، وانتظرت قليلا بالردهة قبل أن يحضر لمقابلتى .

الم سلمته طلب الحضور ، الذى اتى عليه نظرة ، دون أن يعقب
بشيء .

— اذا وافقت ، عدنا معا بالسيارة التى حضرت بها .

— فرفع كتفيه ، دون ان ينطق بشيء . تم وضع قبعته على
رأسه وتبعنى خارجا .

— وهو يجلس الآن فى غرفة مكاتبى ، ولم يزل على حاله لا
ينطق بكلمة واحدة .

وبعد دقيقة او دقيقتين ، كان ميجريه فى غرفة فانو ، حيث
وجد سيريه جالسا يدخن سيجارا كبيرا . واتجه كبير المفتشين
هند دخوله فوراً الى مقعد فانو ، حيث جلس الى مكتبه قائلاً :

— يؤسفنى ان اتسبب فى ازعاجك يا مسيو سيريه . الا ان
الأمر يستلزم ايضاح بعض النقط الهامة .

وكما حدث فى اليوم السابق ، حدى الطبيب المفتش بنظرة
فاحصة ، كانت ابعد ما تكون عن التفاهم والود . وتبادر الى ذهن
ميجريه فجأة ، ان هذا الرجل يذكره بهذا الطراز من السلاطين ،
الذين كان يرى صورهم فى وقت من الاوقات . فقد كان ضخم
الجثة ، قوى العضلات ، يوحى لمن يراه أيضا بهذا الطراز الاخر
من الأثرياء ، فى صورتهم المتعالية المطبوعة على غلاف صناديق
السجائر .

وبدلاً من أن يومىء موافقا ، أو أن يتبتم معترضا على الأقل ،
أخرج سيريه من جيبه طلب الحضور ، وألقى نظرة عليه قائلاً :

— لقد استدميت للحضور بطلب من رئيس شرطة نويللى ،
وتجدنى فى انتظار سماع ما يريد هذا الرئيس منى .

— هل أفهم من ذلك أنك ترفض الإجابة عن أسئلتى ؟

— بكل تأكيد .

وران الصمت على الجميع وحار ميجريه فى أمر هذا الرجل .

لقد سبق له أن قابل كل طراز من الرجال . قابل منهم الثنائى المشاكس ، والصلب العنيد . وقابل منهم المتفاهم الصريح ، والماكر المخادع ، ولكنه لم يسبق له مطلقا أن قابل مثل هذا الطراز الجاف غير المهذب .

— أظن أنه لا جدوى من المناقشة ؟ —

— اعتقد ذلك .

— حتى ولو حاولت أن أوضح لك ، أن موقفك هذا ليس فى مصلحتك ؟ —

ولم يجب الطبيب بشيء .

وعندئذ قال له ميجرية :

— حسنا . . فلتنتظر حتى تقابل رئيس الشرطة .

ونهض ميجرية فى طلب الأخير ، الذى لم يفهم بسهولة ما كان مطلوباً منه ، واضطر أخيراً أن يقبل القيام بما رسم له . وكانت إفرفته أحسن حالا من سائر الغرف الموجودة بالمركز ، حيث توفرت فيها سبل الراحة والدعة . وأصدر أمره للمراسلة الواقف ببابه قائلاً .

— فليدخل مسيو سيريه ! —

فلما دخل أشار له رئيس الشرطة الى مقعد من المخمل الأحمر .

تفضل بالجلوس يا مسيو سيريه . انها مسألة ووتين فقط . ولكن تستغرق هذه الاجراءات الكثير من وقتك .

وبعد أن راجع رئيس الشرطة بعض الاوراق التى قدمت اليه سأل طبيب الاسنان قائلاً :

— انك تملك سيارة ، كما ارى ، مسجلة تحت رقم و منى

٨٨٢ ل ؟ —

فأوما الطبيب برأسه موافقا . اما ميجرية فكان قد اتخذ له

مقعدا بجوار النافذة ، حيث يمكنه أن يراقب سيره في كل حركاته .

– وهل لازلت مالكا لهذه السيارة ؟ .

فأوما براسه مرة اخرى موافقا .

– متى استعملتها آخر مرة ؟ .

– أظن انه من حقى ان اعرف السبب الداعى لهذا الاستجواب .
فتحرك رئيس الشرطة فى مقعده متمللا . . . اذ انه لم يكن واضيا من مبدأ الأمر عن هذه المهمة التى كلفه ميجريه اداءها .

– فلنفترض ان سيارتك قد نسب اليها حادث ما . . .

– هل حدث ذلك فعلا ؟ .

– ولنقل اننا ابلغنا برقم سيارتك على انها صدمت احدا ما .

– متى كان ذلك ؟ .

وهنا اتجه رئيس الشرطة بنظراته الى ميجريه معاتباً للموقف الذى زج به فيه .

– يوم الثلاثاء مساء .

– واين كان ذلك ؟ .

– بالقرب من نهر السين .

– ان سيارتى لم تتحرك من « الجاراج » مساء الثلاثاء .

– قد يكون غيرك استعملها دون علمك .

– اشك فى ذلك ، لأن « الجاراج » مفلق بالمفتاح .

– هل أنت على استعداد لأن تقسم بانك لم تستعمل سيارتك

يوم الثلاثاء مساء او ليلا ؟ .

– واين شهود الحادث ؟ .

ومرة اخرى اتجه رئيس الشرطة بنظراته الى ميجريه ، وكان فى هذه المرة مستنجدا . ولما كان الاخير قد ادرك انه لا يجدوى

من ذلك ، أشار له بما يعنى حتى لا يستمر فى استجوابه .
- ليس لدى أسئلة أخرى يا مسيو سيريه . . شكرا .

وقام الطبيب من مقعده ، ثم وضع قبعته على رأسه ، وترك
الغرفة بعد أن حدج ميجريه بنظرة فاحصة كلها تحد .
- لقد قمت بكل ما أستطيع القيام به كما رأيت .
- فعلا . .

- هل استفدت بشيء من هذا الاستجواب ؟ .
- قد يكون ذلك .

- ان هذا الرجل سيثير المتاعب . . لأنه يتمسك بحقوقه كل
التمسك .
- اعرف هذا .

وبدا للجميع أن ميجريه يكاد يحاكي الطبيب فى حركاته دون
ان يدري . فبدأ جامدا غامضا ثقيل الظل . واتجه بدوره صوب
الباب .

ماذا تنسبون الى هذا الرجل يا ميجريه ؟ .
- لست متأكدا بعد . ربما يكون قد قتل زوجته .

وشكر لقانو ما قام به ، وخرج الى حيث كانت سيارة الشرطة
فى انتظاره . وقبل أن يستقلها اتجه الى المقهى الموجود على
الناصية ليشرّب شيئا ينعشه . وتأمل صورته فى المرآة وتساءل
فيما بينه وبين نفسه ، كيف يبدو اذا ما وضع على رأسه قبعة
كتلك التى كان يضعها الطبيب فوق رأسه . وابتسم لما جال
بخطره من أن الصراع فى هذه القضية صراع بين اثنين من الوزن
الثقيل .

وعندما أصبح فى السيارة قال للسائق :

عد بنا عن طريق شارع دى لافيرم .

وعلى مقربة من رقم ٤٣ ب ، شاهدنا سيريه يسير بخطوات

وأسعة وسيقاره فى يده . وعندما مر أمام الجراج لم يقته ان يلاحظ وجود الشرطى الذى كان واقفا يراقب المكان بملابسة المدنية .

ورأى ميجره انه لا حاجة به للوقوف أمام الباب الحديدى الكبير . فماذا سيعود عليه من ذلك ؟ فقد لا يسمح له بالدخول !

ولما عاد للإدارة ، وجد اونستين تنتظره على أحر من الجمر . فاذن لها بالدخول إلى مكتبه . وما أن دخلت حتى سألته :

— ما هى أخبارك ؟

— لا جديد .

وكان حانقا متوتر الأعصاب ، مع أنها لم تعهد فيه ذلك ، لأنها لم تكن تعرف أن هذا هو شأنه عندما تصادفه قضية شديدة التعقيد متعثرة فى أولى خطواتها .

— وصلتنى بطاقة بريد هذا الصباح . وقد أحضرتها اليك . وقدمت اليه بطاقة ملونة تحمل صورة فوتوغرافية لبلدية مدينة الهاقر . ولم يكن مسطرا بها شيء غير عنوان لوفتى بشباك البريد فقط .

— من البريد ؟

— العنوان بخط يده .

— إذن قلم يذهب إلى بلجيكا ؟

— هذا ما يبدو . ولعله الآن خارج الحدود .

— هل تظنين انه سيهرب عن طريق البحر ؟

— استبعد ذلك . . . إذ لم يسبق له أن وضع قدمه على سفينة هنا مسيو ميجره . بودى لو أوجه لك سؤالاً . غير أننى أريدك إجابة صريحة منك . اذا ما حدث فرضا انه عاد إلى باريس ، فما هى الإجراءات التى تتبع معه ؟

— بمعنى هل سيلقى القبض عليه أم لا ؟

— تماما .

ـ بتهمة الشروع فى السرقة ؟ .

ـ نعم . .

اذن فلتعلمى انه ما من احد يستطيع ان يفعل ذلك . لانه لم
ينضببط متلبسا . علاوة على ان رجيلوم سريه ، وهو المجنى عليه ،
لم يتقدم بشكوى عن حادث السطو على منزله ، بل هو ينكر ذلك
بتاتا .

ـ معنى ذلك انكم ستتركونه وشأنه ؟ .

ـ هذا اذا لم يكن كاذبا فيما اخبرك به .

ـ هل اعده بذلك بناء على كلمتك ؟ .

ـ نعم . .

فى هذه الحالة ساقوم بنشر نبذة فى باب الاعلانات الشخصية
بالصحيفة التى اعرف انه يداوم على قراءتها .

وبعد ان حداجته بنظرة قاسية قالت له :

ـ يلوح لى انك لم تتقدم خطوة .

ـ لم اتقدم فى أية ناحية ؟ .

ـ فى القضية . . هل قابلت الطبيب ؟ .

ـ من نصف ساعة .

ـ وماذا قال لك ؟ .

ـ لا شيء . .

ولم يكن لديها ما تقوله بعد ذلك . وانتهزت فرصة وقين
التليفون فقامت مستأذنة فى الانصراف .

وبعد ان تركت الغرفة ، تناول ميجره السماعه مزجرا :

ـ ماذا هناك ؟ .

ـ انه انا يا سيدى الرئيس . . هل تسمح لى بمقابلتك الان ؟ .

وما هى الا ثوان ، حتى اقبل چانثيه على رئيسه مسرعا ، وقد

يدا عليه انه راض عن نفسه كل الرضا .

لقد وصلت الى اشياء كثيرة . . هل لديك متسع من الوقت
لعرضها ؟

وهبط حماسه بدافع من تصرف ميجرية ، الذي نهض في
هدوء ليخلع « جياكتته » ثم عاد الى معقده ليحل رباط عنقه دون
أن يتفوه بكلمة واحدة .

اولا . . قصدت الفندق الذي سبق ان اشرت اليه في
حديثي . ووجدته من الفنادق الصغيرة الواقعة على الضفة
اليسرى . ولم يزد عدد نزلائه على الخمسين ، معظمهم من الاجانب
- وهم خليط من الانجليز والسويسريين والامريكيين - وفاليبيتهم
من السيدات كبار السن اللاتي يهوين المتاحف وكتابة الخطابات
المطولة .

- حسنا ؟

ولم يجد ميجرية ما يدعو لكل هذه التفاصيل

- وقد نزلت ماريا فان ايرنس بهذا الفندق مدة عام . وهم
يذكرون عنها كل شيء ، لانها كانت محبوبة مقربة الى قلوبهم .
ويقولون عنها انها كانت مرحة تكثر من الضحك ومن تناول
الفظائر ، كما انها كانت تواظب على حضور جميع المحاضرات التي
تلقى بالسوربون .

- وهل هذا كل ما هنالك ؟

قالها ميجرية بلهجة تعنى انه لا يرى في كل ما سمعه ما يدعو
او يتفق مع الحالة التي بدا بها چانثييه .

وكان من عاداتها ان تكتب في كل يوم تقريبا خطابات تتراوح
صفحاتها بين ثمانية وعشرة اوجه .

فرفع كبير المفتشين كتفيه ، وهو يحجج چانثييه بنظرة
مستفسرة ، ادرك الاخير معناها .

وكانت هذه الرسائل لسيدة واحدة . صديقة لها من ايام
الدراسة تعيش في امستردام ، تمكنت من معرفة اسمها . وجاءت

هذه الصديقة لزيارتها مرة واحدة ، حيث أقامت معها قى عرقتهما
مدة ثلاثة أسابيع . وأعتقد أن ماريلا بعد زواجها لم تقلع عن عادة
الكتابة اليها . أما هذه الصديقة فتدعى جرتروود أوستنج ؟ وهى
متزوجة من أحد أصحاب مصانع البيرة . ولن يصعب علينا الاهتداء
الى عنوانها .

- اتصل بأمستردام .

- هل ستطلب الاطلاع على هذه الرسائل ؟

- الأخيرة منها ان امكن .

- لقد فكرت فى ذلك فعلا . ألم ترد انباء من بروكسل عن
فريدى الحزين ؟

- ان فريدى فى مدينة الهافر .

- هل اتصل بالهافر ؟

- سأتولى بنفسى ذلك . من هو الخالى من الخدمة اليوم ؟

- تورينسى عباد هذا الصباح .

- ابعث به الى .

واقبل عليه رجل من الوزن الثقيل ، ممن لا يتيسر لهم الاختفاء
فى أى شارع مهما كان مزدحما بالمارة ، وممن يسترعون انظمام
الناس فى أى مكان يحلون به .

- عليك بالتوجه فورا الى ناحية نويللى لمراقبة المنزل رقم

٤٣ ب بشارع دى لافيرم . ولهذا المنزل باب حديدى كبير . ولتكن

قوى مكان ظاهر لا يخفيك عن الامين . فاذا ما شاهدت رجلا يزيد

عليك حجما وطولا فما عليك الا ان تتبعه بشرط الا يراك .

- هل من اوامر اخرى ؟

- لا مانع من ان تخلق نفسك من الخدمة طرفا من الليل .

فهناك احد زملائك من شرطة نويللى معين لمراقبة « الجاراج »

القريب من المنزل ويمكنه ان يقوم بذلك فى اثناء راحتك .

- وماذا افعل اذا خرج الرجل مستقلا سيارة ما ؟

• أخذ معك إحدى سيارتنا ، واحرص على أن تكون قريبة منك .

وكان الجو أشد حرارة من جو اليوم السابق . فلم يشعر ميخريه برغبة في الذهاب الى منزله لتناول طعام الغداء . وفضل أن يعرج في طريقه الى القسم الفني بقصر العدالة ، على بار دو فين ليتناول كأسين من البرنو . . وبعد أن قابل مويرز رئيس القسم الفني ، دار بينهما الحديث الآتي :

— ليكن ذلك حوالي الساعة الحادية عشرة . ولتحضر معك كل ما يلزم . واصطحب معك أحد زملائك . مفهوم يا سيدى المفتش .

وكان ميخريه قد اتصل بشرطة الهاثر . فليس ما يمنع أن يكون فريدى الحزين قد استقل قطارا من محطة الشمال الى « ليل » مثلا . كما لا يوجد ما يمنع من انه بعد أن اتصل تليفونيا بفرنستين ، قد اتجه الى محطة سانت لازار ؟ .

ولعله قد نزل بأحد الفنادق المتواضعة ، أو قضى وقته متنقلا من بار الى بار ليشرّب مياه فيشى ما دام لم يتعمود أن يحتسى الخمر . أو لعله يحاول أن يلوز بأحدى السفن لتنقله بعيدا . ترى هل بلغت شدة الحرارة بالهاثر مبلغها فى باريس ؟ .

وها هم أولاء لم يتيسر لهم بعد ، أن يهتدوا الى سيارة الأجرة التى استقلتها ماريا سيريه ونقلت بها حقائبها الى المحطة . كما أن عمال هذه المحطة وموظفيها لا يدكرون شيئا عنها .

وعندما كان يتصفح جرائد المساء ، قرأ ميخريه رسالة ارنستين الموجهة لزوجها فى باب الاعلانات الشخصية :

الفريد . عد الى باريس . ليس من خطر يهددك .

لقد سويت الامور . تينى

وراح فى افشاء لم يستيقظ منها الا فى الساعة الرابعة والنصف ، عندما وجد نفسه فى مقعده والصحيفة موضوعة على

وكبتيه . وادرك انه بعد أن قرأ هذا الاعلان قد استسلم للنوم .
وشعر بمرارة في فمة وبالام في ظهره . فنهض تاركا غرفة مكتبه
إلى ساحة الادارة ، حيث لم يجد أية سيارة من سيارات الشرطة ،
ولم يجد بدا من أن يستقل إحدى سيارات الأجرة من ناصية
الشارع .

— شارع دى لايرم فى نويللى . وعندما نصل سادلك على
المكان ؟

وكاد يففو مرة أخرى وهو فى السيارة ، التى وقفت به عند
المقهى ، الذى سبق له التردد عليه ، وكانت الساعة قد بلغت
الخامسة . ولم يجد احدا جالسا بشرفة المقهى . ولاحظ وقوف
تورينس على مسافة قريبة . فدفع للسائق أجره ، ثم احتل مقعدا
بالشرفة .

— ماذا يمكن أن أقدمه لك يا مسيو ميجرية ؟

وهل هناك شيء غير قدح من البيرة ؟ ان العطش بلغ به مبلغا
يخيل اليه معه انه يستطيع أن يتلع خمسة أو ستة أقداح دفعة
واحدة !!

— هل جاء الى هنا مرة أخرى ؟

— طبيب الأسنان ؟ لا لقد رأيت والدته صباح اليوم وهى فى
طريقها الى شارع ريتشارد والاس .

وعندما سمع صرير الباب الحديدى ، نظر فرأى امرأة نحيفة
الجسم قصيرة القامة ، تخرج متجهة فى سيرها فى الناحية المقابلة .
فأسرع ميجرية ليلحق بها عند طرف غابة بولونى .

— مدام أوجينى ؟

— ماذا تريد منى ؟

— حديثا قصيرا .

— ان وقتى لا يسمح بذلك . ان امامى عملا كثيرا فى منزلى .

— أنا ضابط من ضباط الشرطة .

— هذا لا يغير من الأمر شيئا .

- أحب أن أوجه اليك بعض الأسئلة .
- وهل أنا مضطرة لأن أجيبك عنها ؟ .
- قد يكون هذا أفضل .
- لست أحب رجال الشرطة .
- لا يمكن أن نرغمك على ذلك . هل تحبين من يعملين عندهم ؟
- أن النفس تعافهم .
- بما في ذلك مدام سيريه أيضا ؟ .
- أنها حيوان قدر .
- وهنا مرت بهم إحدى سيارات الأجرة . فاستوقفتها ميجريه
- قائلا :

- سأصطحبك الى منزلك .
- انه لا يعينى فى كثير أو فى قليل أن يشاهدنى الناس وأنا
- أفى صحبة أحد رجال الشرطة .
- ثم خطت الى السيارة بخطوات متتدة متعالية .
- لماذا تحقدين عليهم ؟ .
- وماذا عنك ؟ . أنت الذى تتداخل فى شئونهم ؟ .
- هل رحلت السيدة سيريه الصغيرة ؟ .
- الصغيرة ؟ . نطقت بها فى لهجة تهكمية لاذعة .
- اذن فلنقل انها زوجة الابن .
- نعم . لقد رحلت . ولقد سررت لخلاصنا منها .
- وهل كانت هى الأخرى حيوانا قدرا .
- لا . . .
- هل كنت تكرهينها ؟ .
- كانت نهمة جشعة .
- ومتى رحلت ؟ .
- يوم الثلاثاء .

وقى طريقهم عبر جسر بوتو ، طرقت أوجينى الزجاج بأصابعها
إقائلة :

- هنا . هل تريد منى شيئا آخر ؟ .
- هل تسمحين لى بلحظة اخرى فى منزلك ؟ .
- وتركا السيارة . واجتازا فى طريقهما الى المنزل ميدانا مزدحما
ثم اتجها يمينا الى الدرج المؤدى الى مسكن أوجينى .
- لو أسديت لى معروفا بأبعادهم عن ولدى ! .
- أبعاد من ؟ .
- غيرك من رجال الشرطة . هؤلاء الذى لا يكفون عن مضايقة
ولدى .

- وماذا يفعل ؟ .
- انه يؤدى عمله .
- أى عمل هذا ؟ .
- وأنى لى ان أعرف ؟ . وهل عندى من الوقت ما يتسع لذلك ؟ .
- ان أعمل فى منازل غيرى ، ثم أقوم بما يجب على فى منزلى .
- واتجهت بعد ان دخلا الغرفة ، للنافذة تفتحها حتى ينفثا
الهواء الى الحجرة فتتجدد رائحتها الرطبة . غير انه لاحظ ان
الحجرة نظيفة مرتبة . بالرغم من انها عبارة عن حجرة نوم وطعام
واستقبال فى آن واحد .

- ثم سألته وهى تخلع عنها قبعتها :
- ما هو السر فى كل ذلك ؟ .
- ان ماريا سيريه لا يمكن العثور عليها .
- ما هذا ؟ . انها فى هولندا .
- ولا فى هولندا .
- ولماذا تبحثون عنها ؟ .
- لدينا من الأسباب ما يحملنا على الظن بأنها قتلت .

- أفلمعت عينها ببريق خاطف ثم قالت :
- ولماذا لم تلقوا القبض على القتلة ؟
 - ليس لدينا أى دليل نستند عليه .
 - ولذلك جئت الي لأزودك بهذا الدليل ؟
 - خبرينى بما حدث يوم الثلاثاء ؟
 - لقد أمضت يومها فى اعداد حقائبها .
 - لحظة ارجوك . انها متزوجة من عامين ونصف . اليس كذلك ؟ . واعتقد أن لها من المتاع الكثير ؟ .
 - فعلا . ليس أقل من ثلاثين ثوبا وما لا يعد ولا يحصى من الأحذية .
 - وهل كانت تعتنى بهندامها ؟
 - انها لم تكن لتستغنى عن شىء من حاجياتها . فقد كانت تحتفظ بها مهما طال بها العهد ، ولو انها كانت لا ترتدى منها شيئا .
 - حريصة ؟
 - ليس الحرص من شيمة جميع الأغنياء ؟
 - علمت بأن كل ما حملته معها لم يكن غير صندوقٍ وحقبتين .
 - تماما . أما الباقي فقد سبقها بأسبوع .
 - هل تعين بهذا ، انها بعثت بصناديق أخرى للخارج ؟
 - صناديق ، وحقائب ، وغير ذلك . وقد وصلت احسنديج السيارات الكبيرة لنقل هذا كله . وكان ذلك يوم الخميس أو الجمعة .
 - وهل قرأت ما كان مسطرا على البطاقات ؟
 - لا أذكر العنوان بالتفصيل . ولكننى أذكر أنها كانت مصدرة إلى أمستردام .
 - وهل علم زوجها بذلك ؟
 - بكل تأكيد !

- اذن فلم يكن رحيلها امراً مفاجئاً .
- قد كنا نعلم بذلك بعد آخر نوبة هاجمتها .
- أية نوبة هذه ؟ وما نوعها ؟ .
- نوبة قلبية ، كما كانت تقول .
- وهل كانت تعاني من قلبها ؟ .
- يلوح أن الأمر كان كذلك .
- وهل كان يشرف على علاجها احداً ؟ .
- الدكتور ديبوك .
- وهل كانت تتعاطى دواء ما ؟ .
- بعد كل وجبة ، ان الثلاثة كانوا يواظبون على ذلك . ولا زال الأخران على هذا الحال . فالى جانب كل كنت ارى زجاجة الدواء الخاصة به .
- وهم يشكو جيلوم سيريه ؟ .
- لا اعرف .
- ووالدته ؟ .
- ان افراد الطبقة الراقية غالباً ما يشكون من شيء .
- وهل كانت العلاقات بينهم طيبة ؟ .
- كانت تمر أسابيع بأسرها أحياناً ، دون أن يوجه أحدهم كلاماً الى الآخر .
- وهل كان من عادة ماريا سيريه أن تكثر من كتابة الرسائل ؟ .
- كانت تواصل الكتابة من مطلع الشمس الى مغربها تقريباً .
- وهل كانت تعهد اليك بها ؟ .
- في معظم الاوقات . وكانت كل هذه الرسائل معنونة باسم واحد . اسم سيدة تقيم في أمستردام .
- وهل حالة آل سيريه المالية حسنة ؟ .
- اعتقد ذلك .

ـ وحالة ماريما المالية ؟ .

ـ حسنة بدون شك . والا لما تزوج بها .

ـ هل كنت تعملين فى منزلهم عندما تم زواجهما ؟ .

ـ لا .

ـ الا تعرفين من كانت تقوم بذلك قبلك ؟ .

ـ انهم يغيرون من تعمل لديهم باستمرار . فهذا الاسبوع هو

آخر اسبوع بالنسبة لى عندهم . اننى لم استطيع ان احتمل اكثر من

ذلك ، كما فعل غيرى .

ـ ولماذا ؟ .

ـ كيف تطيق ان تراهم يحصون عليك قطع السكر ، وعندما

يتنازلون ليقدموا اليك نصف تفاحة يتحرون ان تكون تالفة عفنة ؟ .

ـ الام سيريه ؟ .

ـ نعم الام سيريه . وآه لو واثك جالسا لتستريح . هنا الطامة

الكبرى ! . كيف يكون ذلك من حقتك ، وهى السيدة التى قاربت

الثمانين لا تهدا ولا تمل .

ـ وهل هى التى اعفتك من العمل عندهم ؟ .

ـ لا . انها لا تعرض نفسها لمثل هذه المواقف . انها تحب ان

يبدو فى عينيك اكثر رقة وادبا .

ـ وهل فوجئت بشيء غير عادى ، عندما عدت الى عمك فى

صباح الاربعاء ؟ او استرعى انتباهك امر ما ؟ .

ـ لا شيء على الاطلاق .

ـ ألم تلاحظى ان احدى النوافذ قد تحطم زجاجها فى اثناء

الليل ، او على الاقل لاحظت وجود معجون جديد حول زجاج احدى

النوافذ ؟ .

قاومات براسها موافقة ثم قالت :

ـ ولكنك اخطات تاريخ اليوم .

ـ اى يوم ؟ .

- يوم لاحظت ذلك . حيث كان هذا قبل يوم الأربعاء يسومين
أو بثلاثة أيام . يوم هبوب العاصفة .
- أواقفة أنت مما تقولين ؟ .

- كل الثقة . لأننى قمت بتنظيف أرض قرفة المكتب التى
أفسدتها الأمطار التى وجدت لها طريقا خلال النافذة المحطمة .

- ومن الذى أعاد تركيب الزجاج ؟ .

- مسيو جيلوم .

- وهل هو الذى قام بشرائه ؟ .

- نعم . وكان ذلك حوالى العاشرة صباحا .

- وهل أنت واقفة من التاريخ الذى حدثتني به ؟ .

- كل الثقة .

- شكرا جزيلا .

وشعر بأنه لم يعد هنالك ما يسألها عنه . كما شعر بأنه لم يعد
له عمل فى شارع دى لافيرم . اللهم الا اذا كانت أوجينى قد ألقت
على مسامحة بما لقنوها اياه . وأن صح ذلك ، فإنها تكون أشد
يلاء من الجميع وأقدر على الكذب .

- أو تظن أنهم قتلوها ؟ .

ولم يعقب . واتجه نحو الباب .

- بسبب زجاج النافذة ؟ .

واهترزت نبرات صوتها قليلا .

- هل كان من المفروض أن تتحطم النافذة فى التاريخ الذى
حددتته أنت ؟ .

- لماذا ؟ . أو تحبين أن تشهدى اليوم الذى يودمان فيسه

السجن ؟ .

- ليس أحب من ذلك الى قلبى . اما وقد نطقت بالحق . . .

وكانها نذمت على قول الحق . وكأنها كانت تترقب ما يتيح لها

أن تعدل عما قررتة .

– يمكنك أن تذهب الى الحانوت الذى اشترى منه الزجاج
لتتحقق من ذلك .

– شكرا على معلوماتك .

ووقف ينتظر مرور احدى سيارات الاجرة امام احد الحوانيت .
وما أن اقبلت احداها حتى استقلها الى شارع دى لافيرم .

ورأى انه لم يعد هناك ما يدعو لاستمرار تورييس فى خدمته .
كذلك الحال بالنسبة لرجل الشرطة المعين من قبل شرطة نويلى .
وعادت اليه ذكرى حادث شارع دى لالون وما كان من سلوكه
ارنستين حينئذ ، الا أن هذا الذى اقدمت عليه حديثا ، لم يكن من
الطرافة فى شيء . وكان ما فيه من ازعاج للسلطات يجب أن تؤخذ
عليه . واخذ يقلب الأمر على وجوهه ، ورأى فيما رأى أنه أول من
يوجه اليه اللوم فى ذلك ، لاندفاعه فى هذه القضية وراء افوانها ،
مما حمله على ارتكاب الكثير من التصرفات البعيدة عن الروية
والتدبر والتي جعلته يبدو شديد الحمق ، لأول مرة فى حياته ،
وذلك عندما كان بمكتب رئيس الشرطة هذا الصباح بناحية
نويلى .

وكان قلقا . يضع قدما ليرفع الأخرى . مقلبا غليونه فى فمه
يمينا ويسارا . يتحرك بجسمه كما تتحرك معه افكاره . واخيرا
قال للسائق -

– اتجه الى شارع لونجشامب ، حيث يوجد حانوت للادوات
المنزلية . قف امامه لحظة اذا كان لم يزل مفتوحا .

لقد جازف فى هذه القضية كثيرا . وها هو ذا سيلقى بأخر سهم
فى جعبته . ولتكن هذه هى الرمية الأخيرة . وحتى اذا وجد
الحانوت مغلقا ، فلن يكلف نفسه عناء العودة اليه مرة أخرى . ومع
ذلك ، فأى دليل هناك على أن الفريد قد اقتحم هذا المنزل فعلا
وسطا عليه ؟

لقد خرج على دراجته فعلا من منزله فى كاي دى جيماب ، هذا
امر متفق عليه ، وفى الفجر اتصل تليفونيا بزوجته ، وهو أمر آخر

لا جدال فيه . ولكن من يدري ومن تسمع ما دار بينهما من حديث ؟
- لم يفلق أبوابه بعد .

آه . . انه يقصد حانوت الأدوات المنزلية من غير شك . وترك
السيارة الى الحانوت حيث قابله شاب طويل القامة ، فسأده
مستفسرا :

- هل تبيعون الواح الزجاج ؟

- نعم يا سيدي ،

- والمعجون الخاص بتركيبها ؟

- بكل تأكيد . هل اتيت بالأبعاد ؟

- انها ليست لي . هل تعرف مسيو سيريه ؟

- طبيب الأسنان ؟ . نعم يا سيدي .

- هل هو من عملائك ؟

- انه عميل مستديم .

- هل رأيته حديثا ؟

- انا شخصيا لم اراه حديثا ، لأنني عدت من عطفتي أمس الأول
فقط . وقد يكون حضوره قبل ذلك . ومن اليسير معرفة ذلك
بمراجعة دفتر المبيعات .

ولم يستفسر الشاب من ميغريه عن السبب في هذا . واتيجه
الى احد الأدراج وأخرج دفترا اطلع عليه ثم قال :

- لقد اشترى لوحا من الزجاج فى الأسبوع الماضى .

- او يمكن أن أعرف فى أى يوم كان ذلك ؟

- يوم الجمعة .

لقد هبت العاصفة يوم الخميس ليلا . اذن فقد كانت اوجيتى
على حق . وكذلك كانت السيدة سيريه .

- واشترى نصف رطل من المعجون أيضا .

- شكرا .

وقى الوقت الذى كاد ميجه ينفق الامل قى هذه القضية عام
ليتلق بخيط جديد قدم له طرفه الشاب الذى كان يستعد لفلق
المحل وهو يقول بعد ان راجع اليومية مراجعة شكلية :

- لقد جاء الى هنا مرة اخرى هذا الاسبوع .

- متى ؟

- يوم الاربعاء . . لقد اشترى لوحا من نفس الحجم الذى
اشتراه من قبل ٦٥ x ٤٢ . ونصف رطل آخر من المعجون .

- اوافق انت من ذلك ؟

- بل استطيع ان اخبرك بانه حضر فى ساعة مبكرة من صباح
ذاك اليوم . فقد كان اول عميل يشترى من المحل فى اليوم
المذكور .

- متى تبدءون عملكم ؟

وهذه نقطة فى غاية الهمية . لان اوجينى تقرر انها لم تلاحظ
شيئا عندما بدأت عملها فى التاسعة صباحا .

- نحن نحضر فى التاسعة صباحا . ولكن صاحب العمل يحضر

فى الثامنة .

- شكرا . انك ممتاز .

وكان من الطبيعى ، ان يتساءل هذا الشاب الممتاز فيما بعد :
عما حدا بهذا الرجل ، الذى اقبل عليه مهموما ، ان ينصرف بهذه
الروح المعنوية العالية غير محاول ان يخفى انشراحه وابتهاجه .

- اظن انه لا يوجد ما يدعو للخشية من العبث بهذه الصفحات ؟

- ومن هو الذى يجرؤ على ذلك ؟ . ولماذا ؟ .

- نعم . لماذا . وما عليك الا ان تتبع نصيحتى وتعمل بها . كن
جهدرا وافتح عينيك . وسأرسل مندوبا فدا صباحا لأخذ صورة
افوتوغرافية لهذا المستند .

ثم أخرج بطاقة زيارة من جيبه قدمها للرجل الشاب الذي
أقراها بدوره ؛

أكبر المفتشين ميجرية

إدارة عموم الأمن العام

باريس

وسأله سائق السيارة ؛

ـ الى أين ؟ .

ـ الى شارع دي لافيرم ، أمام المقهى الذي سسابقابلنا على

اليسان

الم يكن ، بعد ما وصل اليه ، ليستحق قدحا من البيرة ، يعوضه
عن كل ما مر به من اثاره ، وكان على وشك ان يدعو كلا من تورينس
وزميله الآخر للانضمام اليه ، ولكنه عدل عن ذلك واكتفى بدعوة
السائق :

ـ ماذا تشرب ؟ .

ـ نبيذا أبيض بالفيشي .

وجلسا يستمتعان بمشروبهما ، وبانعكاس أشعة الشمس
الذهبية على أديم الشارع . ويستمعان الى صوت النسيم وهو
يتخلل أشجار غابة بولونى الباسقة .

وكان على مسافة قصيرة منهما ، ذاك البيت الذي يخيم عليه
السكون ، كما يخيم على اديرة الرهبان ، تحيط به حديقته الخضراء
ببابها الحديدى الكبير فى سواده المقبض .

وهناك فى هذا المنزل ، تقيم سيدة طاعنة فى السن وكأنها كبيرة
الراهبات ، ويقوم معها ابنها الذى يبدو كسلطان من سلاطين
الأقاصيص ، وبين ميجرية وبينهما شوط طويل من النضال العنيف
حتى تنتهى الجولة .

إن فى جعبة الحياة الكثير ، وكل شىء مرهون بوقته .

الفصل الخامس

وأمضي ميجريه سائر اليوم على الوجه الآتى . فبعد أن شرب قدح من البيرة صحبه السائق الذى شرب بدوره كأسا من النبيذ الأبيض المخلوط بمياه فيشى ، استقل السيارة وقد اختمرت فى رأسه فكرة مواصلة السير الى الفندق الذى كانت تقيم به « ماريا فان ايرتز » مدة عام .

وفى الواقع أن جانفييه لم يترك له ما يدعو لهذه الزيارة . غير أنه جريا على عادته التى دأب عليها دائما ، رأى أن يذهب ليلمس بنفسه طبيعة الجو والمكان ، وما كان يحيط بهذه السيدة فى حلها وترحالها .

ورأى الفندق من الخارج وكأنه يزهو بلونه الأبيض . فلما تجاوز بابه الى الداخل ، وجد أن كل ما فيه بدل على ذوق جميل ، مما ترتاح لمراه الأعين . وقابلته مديرة الفندق ، بوجهها الوردى وملابسها البيضاء ، وشابهت المكان ذوقا وجمالا .

- لقد كانت شخصية محبوبة حقا يا مسيو ميجريه ! وليس من شك فى أن زوجها قد سعد بها حقا ! وكنا نلاحظ عند وجودها بيننا أنها كانت تحلم بالزواج .

- وهل أفهم من هذا أنها كانت تبحث عن الزوج ؟

- اليس هذا هو حال جميع الفتيات ؟

- أظن انها كانت قد بلغت الثمانية والأربعين عاما عندما كانت تميش هنا ، هذا اذا لم أكن مخطئا ؟

- غير أن قلبها كان لم يزل شابا ! . لقد كانت تفيض حيوية ولا تنقطع عن الضحك . ولن تصدقنى اذا قلت لك أنها كانت مفرمة بممارسة ألعاب الحيل مع صديقاتها من نزيلات الفندق . ويوجد بالقرب من المادلين ، حانوت لم يسبق لى أن لاحظت وجوده من قبل ، وهى التى دلتنى عليه ، وهذا الحانوت يبيع جميع أنواع هذه الخدع من فتران ميكانيكية الى ملاعق تدوب فى القهوة ، الى كؤوس

لا يمكن الشرب منها ، الى آخر ذلك مما يوقع القسوم فى مواقف
محرجة عابثة ! وكانت ماريما من احسن عملاء هذا الحانوت .
ثم استطردت قائلة :

- وهى ، علاوة على ذلك ، سيدة مثقفة زارت جميع متاحف
أورب و كانت تمضى أياما طويلة فى متحف اللوفر .
- أسبق لها أن قدمت اليك زوجها المنتظر ؟ .

- لا . لأنها كانت لا تطلع أحدا على اسرارها . ولعلها كانت
تفضل الا تحضر به الى هنا ، حتى لا تكون محلا لحسد زميلاتها .
واعتقد انه ممن يتمتعون بشخصية أسرة جاذبة مما يمتاز به
الدبلوماسيون .

- هكذا ؟!! . .

- انه طبيب أسنان ، كما علمت منها ، لكنه لا يقابل الا القليل من
مرضاه ، وبناء على موعد سابق . كما انه من أسرة واسعة الثراء .
- والآنسة فان إيرتر ، ألم تكن هى الأخرى من أسرة واسعة
الثراء ؟ .

- لقد ترك لها والدها مبلغا من المال لا يستهان به .

- الا خبرينى ، هل كانت بخيلة ؟ .

- هل يلفك ذلك أيضا ؟ . ليس من شك فى انها كانت كذلك
حقا . فمئذما كانت ترمع الذهب للمدينة مثلا ، كانت تنتظر حتى
تبدى إحدى النزيلات رغبتها فى ذلك فتذهب معها ، حتى لا تدفع
من أجرة السيارة الا النصف . وكانت فى كل أسبوع تناقشنى
الحساب المقيد فى قائمتها .

- أو لا تعرفين شيئا عن الظروف التى قابلت فيها المسميون
سريه ؟ .

- لم يكن ذلك ، فيما اعتقد ، عن طريق اعلانات الزواج .

- وهل كانت قد أعلنت عن رغبتها هذه فى الصحف ؟ .

- ما إظنها كانت يجادة فى ذلك . ولعلها قامت بنشر الاعلان

لمجرد الدعابة فقط . وان كنت لا اذكر على وجه التحديد ما نشرته فعلا ، الا اننى اذكر ان الاعلان قد جرى على الوجه الاتى : سيدة ، اجنبية ، ثرية ، ترغب فى مقابلة رجل يشترك معها فى هذه الصفات وفى رغبة الزواج . ولقد تلقت مئات من الرسائل ودا على هذه النشرة . وكانت تحدد لبعضهم موعدا لمقابلتها بالوفى فى مكان معين منه ، على ان يحمل الرجل منهم كتابا معيننا بالذات او شيئا من هذا القبيل .

ووجد ميجرية الكثيرات ممن هن على شاكلتها ، ما بين انجليزيات وسويديات وامريكيات ، يجلسن فى بهو الفندق ، على مقاعدهن الوثيرة ، فى دعة وفى سكون ، ليتمتعن بهدوء هذا المكان الجميل .
- ارجو الا يكون قد لحق بها ضرر ما .

وكانت الساعة قد بلغت الساعة تقريبا عندما ترك ميجرية سيارة الاجرة عند كاي دى اوفيفر . ورأى فى طريقه الى الادارة ، جانفييه مقبلا عليه متأبطا لفافة تحت ذراعه ، وقد بدا على وجهه الانشغال والتفكير . فانتظره عند قاعدة الدرج حتى انضم اليه ، ثم صعدا معا الى الادارة .

- كيف تسير الامور يا ولدى ؟ .

- على ما يرام يا سيدى الرئيس .

- ماذا تحمل ؟ .

- عشائى .

ولم يتذمر جانفييه او يشكو . واكتفى بان نظر الى رئيسه نظرة المقدر للظروف ، التى اضطرته الى ذلك .

- ولماذا لم تذهب الى منزلك لتناول عشائك ؟ .

- بسبب هذه المرأة جرتروود . لعنة الله عليها .

ووجدا ان معظم الغرف قد خلت من شاغليها ، وكانت نوافذ الادارة مفتوحة ، فامتلا المكان بنسيم المساء المنعش ، مما اعاد اليهما بعض نشاطهما ، وعوضهما عما قاسياه من حرارة النهار .

- فمت بما يلزم للاتصال بجرتروود اوستنيج فى امستردام .

أقلم أجد إلا الخادم التي أجابت نداء التليفون ؟ مما اضطرتني للاستعانة بشخص كان موجودا بقسم الأجنب لاستخراج بطاقة له، لأن الخادم لم تكن تتكلم الفرنسية .

— ولسوء حظي ، علمت أن السيدة أوستنج قد خرجت مع زوجها في تمام الساعة الرابعة بعد الظهر . وذلك لحضور حفلة تنكرية . كما علمت بأنهما سيتناولان طعام العشاء مع بعض الأصدقاء في مكان ما . وقررت بأنها لا تعلم شيئا عن موعد عودتهما للمنزل ؟ لأنها كلفت تعهد أمر الأطفال عند النوم .

— وبمناسبة الكلام عن الأطفال .
— ماذا ؟ .

— لا شيء يا سيدي الرئيس .

— هيا ، ماذا كنت قائلا ؟ .

— دعنا من ذلك . لا شيء أكثر من أن زوجتي . . . فاليوم عيد ميلاد ولدنا الأكبر . وكانت قد أعدت عشاء خاصا لهذه المناسبة .
— هيا علينا .

— هل عرفت من الخادم أن سيدتها تتكلم الفرنسية ؟ .
— نعم .

— أذن ، فلتذهب إلى منزلك .
— ماذا تقول ؟ .

— قلت تذهب إلى منزلك . اترك لي هذه الشظائر . سأتحلف

أنا .

— قد يفضب هذا السيدة ميجرية .

وتطلب الأمر أن يزيد ميجرية من الحاحه ، حتى خضع جانفييه أخيرا وانطلق مسرعا ليلحق بقطار الضواحي .

وتناول ميجرية طعامه في غرفة مكتبه ، ثم توجه لمقابلة مويرز في العمل ، حيث تبادل معه حديثا طويلا . ولم يغادر مويرز العمل إلا بعد الساعة التاسعة حين خيم الظلام تماما .

— ليس من شك في أنك تعرف ماذا أنت فاعل ؟ .

— نعم يا سيدى المفتش .

واصطحب مويرز معه أحد المصورين والكثير من الأجهزة والمعدات . ولم يكن ما سيقوم به متمشياً مع القوانين واللوائح . غير أنه ما دام قد ثبت أن جيلوم سيريه قد اشترى لوحين من الزجاج لا لوحاً واحداً ، فلم تعد مخالفة القانون ذات أهمية فى كثير أو قليل .

ولما عاد الى غرفة مكتبه ، طلب الاتصال تليفونيا بأستردام . وسمع الخادم تتحدث على طرف الخط الآخر ، واستطاع ان يتبين من حديثها أن سيدتها لم تعد بعد الى المنزل . ثم اتصل بزوجه .

— هل لديك مانع من مقابلتى فى حلوانى دوفين ؟ أمامى ساعة يمكن أن نقضيها معا . استقلى سيارة .

وتمتعا معا بجلسة هادئة ، وأمسية جميلة ، فى شرفة المقهى المطلة على الشارع الرئيسى فى مواجهة قصر العدالة .

وانتقل ميجرية بخياله ، الى شارع دى لافيرم ، حيث كان مويرز قد بدأ عمله . لقد أصدر له ميجرية تعليماته بأن ينتظر حتى يتأكد من أن السيدة سيريه وولدها قد دخلا غرفتى نومهما . وكان على تورينس أن يقوم بالحراسة أمام المنزل ، حتى يطفى مويرز فى أثناء قيامه بما كلف من عمل فى الجراج وتفتيش السيارة تفتيشاً دقيقاً ، والحصول على كل ما يلزم من بصمات وآثار وغير ذلك مما تجرى عليه التحاليل والمضاهاة .

— أراك راضياً عن نفسك .

— لا يوجد ما أشكو منه .

ولم يكن مستعداً أن يعترف بأنه منذ ساعات قليلة كان أبعداً مما يكون عن أن يرضى عن نفسه ، وأنه لم يكن ليتصور مطلقاً أنه سيستمتع بهذه الجلسة الهادئة مع زوجته ، يرتشفان ما طاب لهما من شراب ومثلجات .

وترك زوجته مرتين ليذهب الى غرفة مكتبه ، حيث كان يطلب

الاتصالَ بأمستردام . ولم يكن ذلك قبل الساعة الحادية عشرة
والنصف ، حين سمع صوتاً آخر غير صوت الخادم يجيبه
بالفرنسية :

— لا أستطيع أن أسمعك جيداً .

— قلت أنني اتصل بك من باريس .

— آه ! . باريس ! .

وكانت تتحدث بنبرات قوية ، وإن كانت بالرغم من ذلك حلوة
جداً .

— من إدارة الأمن العام ؟

— إدارة الشرطة ؟

— نعم . أنني اتصل بك بشأن صديقتك ماريان . هل تعرفينها ؟

ماريان سيريه . ولقبها الأصلي فان إيرتر . هل تعرفينها .

— أين هي ؟

— لا أعرف . أنني اتصلت بك من أجل هذا . ألم تكن تكتب

إليك من حين لآخر ؟

— نعم ، في غالب الأوقات . كان من المفروض أن أذهب لمقابلتها

بالمحطة صباح الأربعاء .

— وهل توجهت لمقابلتها ؟

— نعم .

— وهل التقيت بها ؟

— لا .

— ألم تهرق إليك أو تتصل بك تليفونياً لتعتذر عن حضورها ؟

— لا . وقد أقلقني ذلك .

— لقد اختفت صديقتك .

— ماذا تعني ؟

— بماذا كانت تصرح لك في رسائلها ؟

بـ بالكثير .

وسمعتها تتحدث بلفتها الى شخص ما بجوارها ، لعسله كان
زوجها ، الذي كان الى جانبها فى اثناء حديثها ..

— هل يحتمل أنها توفيت ؟ .

— يحتمل ذلك . هل كتبت اليك بأنها غير سعيدة ؟ .

— كانت نعسة .

— ولماذا ؟ .

— لم تكن تميل الى السيدة العجوز .

— حمايتها ؟ .

— نعم .

— وبماذا حدثتك عن زوجها ؟ .

— انه لم يكن رجلا بمعنى الكلمة . لم يكن بأكثر من صبي يافع
من طلبة المدارس يرتعد فرقا من أمه .

— منذ متى افضت اليك بذلك ؟ .

— منذ زواجها تقريبا . أو بعد زواجها بأسابيع قليلة .

— وهل تحدثت برغبتها فى هجره منذ بدء زواجهما ؟ .

— لا . كان ذلك بعد عام أو اقل قليلا .

— وهل كتبت اليك بذلك حديثا ؟ .

— كتبت لى بأنها قد استقرت على قرار أخير . وسألتني أن

أبحث لها عن سكن فى أمستردام يكون مجاورا لسكننا .

— وهل اهتديت الى سكن لها ؟ .

— نعم . والى خادم أيضا .

— اذن فقد أعددت لها كل شيء ؟ .

— نعم . وذهبت الى محطة السكة الحديدية .

— هل لديك مانع من أن تبعثى الي بصور من رسائل صديقتك ؟

وهل تحتفظين بها ؟ .

– لقد احتفظت بجميع رسائلها . الا ان امر نسخ صور منها
بسيكون من الامور العسيرة ، لانها رسائل مطولة . غير اننى لا امانع
فى ان ابعث اليك بما يعينك منها . هل انت واثق ان شيئاً ما قد
الم بها ؟ .

– لقد اقتنعت بذلك .

– هل قتلت ؟ .

– لا استبعد ذلك .

– اهو زوجها ؟ .

– هذا ما لم اعرفه بعد . سيدتى . ارجو ان تصفقى الى .
يوسعك ان تقدمى لى خدمة كبرى . هل يملك زوجك سيارة ؟ .
– نعم .

– اذن فلتكرمى بالتوجه الى الادارة الرئيسية للشرطة ، التى
ستجدين فيها من يقوم بالعمل ليلا ، واسالى عن الضابط المنسوب
وبلغيه بانك كنت تنتظرين حضور صديقتك ماريا . واطلعيه على
آخر رسالة منها . ثم قومى بتحرير مذكرة تثبتين بها قلقك لعدم
وصولها وتظليين فيها بحث الموضوع .

– هل يتعين ان اشير الى اسمك ؟ .

– كما تشائين . ان كل ما اطلبيسه منك ان تلحى فى طلب
القيام بالتحريات اللازمة .

– سأصر على ذلك حتما .

– شكرا . ولا تنسى ان ترسلى ما وعدتنى به من وسائل .

ثم طلب الاتصال بعد ذلك بالادارة الرئيسية للشرطة فى
امستردام .

– بعد دقائق ، ستحضر السيدة أوستنج لتبلغ عن اختفاء
صديقتها السيدة سيريه ، المعروفة أصلا باسم الأنسة فان ايرتز .
– هل كان اختفاؤها فى هولندا ؟ .

— لا . كان ذلك فى باريس . الا اننى بحاجة الى شكوى رسمية حتى تكون ذريعة لى فيما أريد القيام به . فأرجو بمجرد تلقى بلاغها أن تبعثوا الى ببرقية تطلبون فيها عمل التحريات اللازمة . واقتضى الأمر من ميجريه بعض الوقت ، حاول أن يشرح فيه ما غمض للضابط المنوب عن كيفية علمه بأن السيدة أوستنج قادمة اليه .

— سأخبرك بكل التفاصيل فيما بعد . ان كل ما اطلبه منك الآن هو البرقية . ابعث بها بالبريد المستعجل . حيث يجب ان تصلنى فى مدى نصف ساعة على الأكثر .

وعاد ليلحق بزوجته ، التى وجد انها قد بدأت تتبرم بوحدها .
— هل انتهيت مما يشغلك ؟ .

— لا . سأتناول كأساً ثم نرحل .»

— الى المنزل ؟ .

— الى مكتبى .

وكم كان يضايقها ان تضطر الى ذلك ، لطالما ملت تلك الفترات القليلة التى اضطرت أن تقضيها بالادارة .

— أو تعرف أنك تبدو أمامى كمن يقوم بدور فى تمثيلية مضحكة، أو كمن يدبر خدعة ليلهو بها .»

— فعلاً . الى حد ما .»

— ترى مع من ؟ .

— مع شخص اذا ما وقع نظرك عليه حسبته أحد السلاطين ، وواحداً من الدبلوماسيين ، وصيياً لم يتجاوز الحلم . كل ذلك فى وقت واحد .

— لم أفهم شيئاً .»

— أعرف ذلك ! .»

ولم يكن من عادته أن يبدو دائماً بهذه الروح العالية . ترى كم من الكؤوس شرب ؟ . ولم تكذ تحصى عددها ، حتى سمعته يطلب

كأسا آخر ، ألقى به فى جوفه دفعة واحدة ، ثم أخذها من ذراعها ،
هائدا الى غرفة مكتبه .

— كل ما اطلبه منك : الا تشغلى نفسك ولا تشغلىنى بالتحديث
عن قذارة المكان وكثرة الاتربة به ! .

وعندما استقر بغرفة مكتبه رفع سماعة التليفون ليسأل :

— هل وردت برقيات باسمى ؟ .

— لا يا سيدى المفتش .

وبعد عشر دقائق ، عادت الحملة من شارع دى لافيرم ، ولم
يتخلف منها الا تورينس .

— هل تم كل شىء على ما يرام ؟ .

— نعم يا سيدى . ثم يزعجنا احد . وقد اصر تورينس على الا
نبدأ عملنا الا بعد اطفاء جميع الانوار بالمنزل . واصطرونا أن ننتظر
طويلا حتى ياوى جيلوم سيريه الى فراشه .

— والسيارة ؟ .

ولم يبق بالفرفة من رجال الحملة الا مويرز والمصور . وذلك
غير السيدة ميجرية التى كانت تجلس فى ركن من الفرفة ، وكأنها
لا يعنىها من الأمر شىء .

— قمنا بفحص السيارة فحفا دقيقا . واول ما لاحظناه
أنها لم تتحرك من مكانها منذ ثلاثة أيام تقريبا . ولم نجد اى آثار
لدل عنى وقوع صراع فى داخلها . اما فى صندوقها الخلفى ، فقد
وجدنا ثلاثة خدوش أو أكثر حديثة العهد .

— كتلك التى تنتج عن وضع حقيبة ثقيلة الوزن مثلا ؟ .

— تقريبا .

— هل وجدتم آثارا لبقع من الدم ؟ .

— لا . ولا من الشعر . لقد فكرت فى كل ذلك . ولم نترك

شيئا . وسيقوم اميل بتكبير الصور .

وهنا تدخل المصور قائلا :

— سأقوم بذلك الآن . يمكن أن أنتهى من ذلك بعسده عشرين دقيقة .

— سأنتظرك هنا . وهل لاحظت يا مويرز أن السيارة قد نظفت أخيراً ؟

— من الخارج . . لا . . أما من الداخل فقد لاحظت أنها نظفت بكل عناية . حتى الدواسة ، لم أجد بها ذرة من غبار . ومهما يكن من أمر فقد حصلت على نماذج كثيرة للقيام بتحليلها فى المعمل .

— هل عثرت على أية معدات من معدات التنظيف بالجارج ؟

— لا . وبحثت عن شىء من ذلك فعلاً .

— ولم يكن هناك شىء آخر غير طيىمى . هل يمكن أن انصرف الآن ؟

ونحلت الغرفة الا منهما ، وراى على المكان صمى مطبق ، وأخيراً تأمل ميجريه زوجته قائلاً :

— الا تشعرين برغبة فى النوم ؟

فأجابته بالنفى . ثم رجالت بعينها فى الغرفة التى أمضى بها لزوجها زهرة عمره ، والتى لم تكن تعرف عنها الا القليل .

— أو هكذا تسير الأمور دائماً ؟

— أبى أمور ؟

— القضايا . عندما لا تعود الى المنزل .

ولعلها كانت تتصور عن عمله غير ما لمسته بنفسها . ولم تكن تبرى فيه الا نوعاً من الميابة السهلة الميسرة .

— هذا يختلف باختلاف القضايا .

— وهل تدور هذه القضية حول جريمة قتل ؟

— فى الغالب .

— وهل وصلت الى معرفة القاتل ؟

فأبتسم فى وجهها ابتسامة حملتها على أن تدير رأسها عنه وهى تستنرد مستفسرة :

— وهل يعلم أنك تشك فيه ؟
أفأوما برأسه إيجاباً ؟

— لعله لا يغمض له جفن ؟

فهم أضافت بعد لحظة وقد علتها رجفة لما كانت تفكر فيه :
— يا لهول ما يقاسيه !!

— وهل ما تعرضت له المسكينة كان أقل هولاً .

— أعرف ذلك . ولكنه كان أقصر أمداً . اليس كذلك ؟
— يحتمل .

وبعد قليل ، تلقى ميجرية من شرطة هولندا ، البرقية التي كان
يثرقب وصولها تليفونيا ، على أن ترد له نسخة كتابية منها في صباح
اليوم التالي .

— والآن . . هيا بنا الى منزلنا .

— ان تنتظر حتى ينتهى تكبير الصور الفوتوغرافية ؟

أقابتسم مرة أخرى ، لما رآه من رغبتها فى الكشف عن المزيد
تلك الرغبة التي باعدت بينها وبين الرغبة فى النوم .

— لن نجد جديداً فى هذه الصور .

— أو تعتقد ذلك ؟

— أنا واثق من ذلك . وكذلك الحال بالنسبة للتجارب التي
يجريها مويرز فى معمله .

— ولماذا ؟ . الآن القاتل كان شديد الحرص ؟

أفلم يعقب بشيء . واقتاد زوجته الى الخارج بعد أن أطفأ
الآتوار فى حجرتة .

— ميسيو ميجرية ؟ . أهذا أنت ؟

ونظر الى المنبه الموجود بجوار فراشه ، فوجد أن الساعة
أقاربت الثامنة والنصف . لقد تركته زوجته نائماً حتى يأخذ
نقسطه من الراحة ، وتبين من الصوت أنه لاونستين ؟

- هل أزعجتك ؟
- فضل الا يعترف بذلك .
- اتحدث اليك من مكتب البريد . لقد وجدت بطاقة اخرى باسمي .
- من الهافر ؟
- من دوان . وهى كالسابقة لم يسطر بها شيء غير عنواني .
- كما انه لم يذكر شيء عن الاعلان الموجه الذى نشرته الصحف .
- ثم عادت تستفسر منه بعد ان توقفت عن الحديث قليلا ؛
- هل هناك من جديد ؟
- نعم .
- وما هو ؟
- شيء يتصل بزجاج النوافذ .
- خبر عظيم ؛
- لمن ؟
- لنسا ؛
- فعلا . قد يكون فيه بعض الخير لك ولالفريد .
- اتظن بي الظنون ؛
- لا . على الاقل فى الوقت الحاضر .
- وعندما وصل الى الادارة العامة ، اصطحب معه جانقييه فى احدى سيارات الشرطة ، التى تولى الاخير قيادتها .
- شارع دى لافيرم .
- ومزودا بالبرقية فى جيبه ، وقف بالسيارة امام الباب الحديدى مباشرة ، وتركها هو وزميله الى حيث فرعا الباب الداخلى وقد اتسمت حركاتهما بالجهد وبرسمية وظيفتهما .
- ولاحظا أن ستار اجسدى نوافذ الطابق الثانى قد تحرك قليلا .
- وبعد برهة فتحت اوجينى الباب لهما .

- سعدت صباحا يا أوجيني . ان المسيو سيريه بالمنزل ولى كلمة معه .

ولاحظ ان هناك من يقف على الدرج ، وسمع صوت السيدة سيريه تقول :

- فليدخل السيدان الى غرفة الضيوف يا اوجيني .

وكانت هذه هي المرة الأولى ، التي يدخل فيها جانففيه هذا البيت . ولاحظ ميجرية أن جانففيه اخذ بالمكان . ثم سمعا وقع اقدام بالطابق العلوى . وبعد قليل فتح باب الحجرة ووقف به زجيلوم سيريه شامخا كالطود .

وكان متمالكا نفسه ، تماما كما كان حاله فى اليوم السابق ، ووقف يحدجهما بنظرات هادئة وقحة قبل أن يقول :

- هل معك أمر بآى اجراء ؟ .

فتعمد ميجرية أن يخرج حافظته من جيبه متمهلا ، ثم فتحها وأخرج منها مستندا سلمه اليه بكل ادب .

- اليك ما تريد يا مسيو سيريه .

ولم يكن الرجل مستعدا لهذه المفاجأة . وتناول المستندا وألقى عليه نظرة أولية ثم اتجه نحو النافذة ليتحقق من استكمالها لجميع الشكليات على حين وأصل ميجرية حديثه قائلا :

انه اذن بالتفتيش كما ترى ، محور بناء على محضر التحرى الذى فتح بعد بلاغ السيدة جرتوود أوستنج من أمستردام ، بشأن اختفاء السيدة ماريا سيريه ، سابقا فان ايرتز .

وعندئذ دخلت السيدة سيريه الحجرة .

- ماذا هناك يا جيلوم ؟ فأجابها برقة لم تعهد فيه :

- لا شيء يا اماء ، غير أن هذين السيدين ، كما أرى ، يريدان تفتيش المنزل . فلتصعدى الى غرفتك .

فترددت قليلا ، ثم نظرت الى ميجرية وكأنها تسأله رايه .
- جيلوم ! لا تفقد أعصابك .

• اطمئنى يا أماء • أرجو أن تتركينا قليلا •

• ولاحظ ميجرية أن الأمور لا تسير كما كان يتوقع • فزوى
• ما بين حاجبيه قائلا :

• أتوقع أنك ستكون بحاجة لأن تستشير محاميك ؟ لأننى قد
أقوم بتوجيه بعض الأسئلة فيما بعد •

• لست بحاجة الى محام • أما وقد حصلت على اذن بالتفتيش •
[فلا اعتراض لى على وجودك هنا • هذا هو كل ما فى الأمر •

• وكان جميع نوافذ الطابق الأرضى مغلقة • فاتجه سيريه الى
أقرب نافذة •

• لعلك تفضل مزيدا من الضوء ؟ •

• وكان يتكلم بلهجة مشوبة بالازدراء •

• هيا الى عملكما •

• ثم اتجه سيريه بعد ذلك الى غرفة المكتب لفتح نوافذها ، ومن
بعدها الى غرفة العيادة •

• اذا ما رغبتما فى الصعود الى الطابق الثانى ، أرجو اخطارى
بذلك • أما جانفقيه ، فقد دأب على التحديق فى وجه رئيسه وقتنا
فملكته الحيرة منذ دخولهما الى المنزل • أما ميجرية فلم يكن منشرح
الصدر كما كان فى الصباح أو فى الليلة الماضية • فقد كان قلنا
مهموما •

• هل يمكن أن أتصل بالتليفون يا مسيو سيريه ؟ •

• وكان سؤاله بنفس اللهجة المهذبة التى كان يعامله بها الآخر •
• هذا من حقتك •

• وبعد أن اتصل بالادارة العسامة ، علم أن مويرز قدم تقريرا
سلبيا كما كان ينتظر ذلك كبير المفتشين •

• حول الخط الى المعمل • من ؟ مويرز ؟ هل يمكن أن تحضرنى
فورا الى شارع دى لافيرم ومعك رجالك وأجهزتك ؟ •

وكان يراقب سيريه من طرف خفى • ووجدته منشغلاً بأشغال
سيجار كبير ولم يختلج له جفن •

- كل شيء • كلا • لا يوجد أحدا • سأكون هنا •
- ثم نظر الى جانبيه قائلاً :
- يمكنك أن تبدأ عمالك •
- من هذه الغرفة ؟ •
- من أية غرفة شئت •

* * *

ولازمهما جيلوم سيريه خطوة خطوة ، وكان يراقب ما يفعلان
دون أن ينبس ببنت شفة • وراح جانبيه يفتش أدراج المكتب •
على حين شغل ميجريه نفسه بسجلات الطبيب الخاصة ، التي كان
يدون منها بعض الملاحظات في دفتر مذكراته •

وفي الحق أن ميجريه كان يعلم فيما بينه وبين نفسه ، أنه
لاجدوى من كل هذا الذي يقوم به • وأن كل ما كان يصبو اليه •
من هذا التفتيش ، أن يرى سيريه ، وقد بدرت منه بادرة ، تفضح
عما يمكن أن يفيد القضية •

وها هوذا سيريه ، يقف في أثناء تفتيش غرفة الضيوف ، ثابتاً
لا يتحرك ، هادئاً متزناً وقد أسند ظهره للمدفاة •

وكان يراقب ميجريه ، وكأنه يتساءل عما يبحث عنه هذا
الرجل بين أوراقه • ولم يكن اهتمامه بتتبع ما يقوم به صادراً عن
خوف بقدر ما هو صادر عن ترقب وفضول •
- ان مرضاك قليلون ، يا مسيو سيريه •

فلم يتنازل بالإجابة ، وكل ما فعله عندما سمع من المفتش
ذلك أن رفع كتفيه في غير اكتراث •

- كما أنني لاحظت أن عدد مرضاك من النساء أكثر من
الرجال •

- وكل ما فعله رداً على ذلك ، أنه حدج المفتش بنظرة كان
معناها وماذا عندك بعد ذلك ؟ •

- وهانذا أرى أن أول مقابلة لك لماريا فان أيرتز كانت بسبب
عملك حيث وجد ما يثبت ترددها على الطبيب خمس مرات في مدى
شهرين .

- هل كنت تعلم شيئا عن مدى ثرائها ؟

نفس الصمت . ونفس حركة الكتفين .

- هل تعرف الدكتور دوبوك ؟

فأوما برأسه ايجابا .

- لقد كان الطبيب الذى أشرف على علاج زوجتك . هل أنت

الذى اشرت به عليها ؟

وأخيرا كانت المعجزة وخرج سيريه عن صمته .

- كان الدكتور دوبوك هو الذى يعالج ماريا قبل ان تصبح

زوجتى .

- وهل كنت تعلم عندما تزوجت بها أنها مريضة بالقلب ؟

- أخبرتنى بذلك فعلا .

- وهل كانت جادة فيما أخبرتك به ، مما جعلك تشعر بأن

حالتها المرضية شديدة ؟

- تستطيع أن تسأل دوبوك عن ذلك .

- لقد كانت زوجتك الأولى مريضة هي الأخرى بالقلب .

أليس كذلك ؟

- ستجد شهادة وفاتها بين الأوراق .

وكان جانفبيه أكثر الموجودين ضيقا وتبرما بكل ما حوله .

ورحب بوصول الحملة الفنية ، التى رأى فيها عاملا جديدا سيبعث

فى المكان الحياة ، ويزيل عنه هذا التوتر والجمود . وما أن سمعوا

صوت السيارة وهى تقف بالباب ، حتى خرج ميجريه بنفسه

ليفتحه للقادمين . وقال لويرز هامسا :

- قم باجراءاتك كاملة غير منقوصة ، ولا تترك ركنا بدون أن

تضع النظر فيه وتفتشه تفتيشا دقيقا عن أى دليل يخدم القضية .

وفهم مويرز ما يريد أن يصل اليه ميجرية بذلك • وكان قد
لمح جيللوم سيريه بقامته المديدة وجسمه الضخم ، فتمتم قائلا :
- وهل تظن أن شيئا من ذلك سيحركه ؟ •

- قد ينتهى الأمر بأن يحرك أحدا ما عن موضع أقدامه !

وبعد بضع دقائق ، كان كل ما فى البيت قد قلب رأسا على
عقب ، ولم يترك رجال الحملة الفنيه مكانا الا بحثوا فيه وانعموا
النظر فى محتوياته ، ملتقطين صوراً فوتوغرافية من هنا وهناك •
وعمت الفوضى المكان وساده الهرج • فقلبت المقاعد وتحركت قطع
الاثاث عن مواضعها ، وتناثرت الأوراق والمستندات •

ولم يقع نظرهم على السيدة سيريه الا مرة واحدة ، نظرت فيها
من فرجة الباب ثم انسحبت آسفة على كل هذا الذى يجرى فى بيتها
أما أوجيينى فقد أقبلت تزمجر قائلة :

- أرجو ان نعيدوا كل شيء الى مكانه • أليس كذلك ؟ •
ولما كانوا فى المطبخ يقلبون ويبحثون قالت :
- لو قلتم فقط عم تبحثون ؟ •

وفى الحق أنهم جميعا لم يعرفوا عم يبحثون ! ولم يكن هناك
شيء معين يحاولون العثور عليه • حتى ميجرية نفسه لم يكن
ليستطيع أن يجيئها • ان كل ماكان يترقبه ويصبو اليه أن يتحرك
هذا الرجل الذى كان يتبعهم فى كل مكان وان تبدر منه بادرة تفضح
أمره • هذا الرجل الذى تحركت فى بيته كل قطعة من قطع الجمار
حتى كادت أحجاره تتحرك ، ولم يتحرك هو أو يهتز •

لماذا لتبت ماريا الى صديقتها بأن سيريه لم يكن بأكثر من صبى
يافع ؟ •

وبينما كان رجال ميجرية ، يواصلون القيام بعملهم ، اتصل
بالدكتور دوبوك تليفونيا •

هل تسمح بان احضر لمقابلتك ؟ كلا • أوخرك كثيرا •
شكرا • سأخطر الخادم بمجرد وصولي •

واتجه ميجرية الى منزل دوبوك سيرا على قدميه • وكان يجب
أن يمر في طريقه بحانوت الأدوات المنزلية الذي زاره بالأمس •
فاستوقفه الشاب الذي قابله ليلا قائلا :

• أتتصير لتصوير المستند ؟ •

• بحال ! •

ولما وصل ميجرية الى منزل الدكتور دوبوك ، وجده رجلا قدام
قارب الخمسين ، ملتحميا ، يضع على عينيه نظارة طبية •

- هل كنت تعالج السيدة سيريه ؟ •

- السيدة سيريه الصغيرة • أو بالأحرى أصغر الاثنتين •

- ألم تشرف على علاج غيرها بالمنزل ؟ •

- فلنتحقق من ذلك • نعم ! عاجلت خادما أصيبت بجرح في

يدها منذ عامين أو ثلاثة •

- وهل كانت ماريا سيريه مريضة ؟ •

- نعم • كانت بحاجة الى العلاج •

- قلبها ؟ •

- كان قلبها متضخما • وكانت تكثر من تناول الأطعمة مما

لايتفق وحالتها •

- وهل كانت تكثر من استدعائك ؟ •

- مرة في كل شهر تقريبا • وأحيانا كانت تحضر لمقابلتي هنا •

- وهل اشرت عليها بدواء معين ؟ •

- بأقراص مناسبة لحالتها المرضية •

- وهل يمكن أن تتعرض لازمة قلبية ؟ •

- هذا أمر بعيد الاحتمال • • ربما في مدى عشر سنوات أو

بخمسة عشر •

- ألم تتبع نظاما خاصا لتخفيض وزنها ؟ •

- كانت تقرر ذلك ما بين الحين والآخر • ولكنها لم تكن تنفذ

ذلك إلا مدة أيام قليلة •

١٥ - وهل كنت تلتقى بزوجها ؟

- من حينٍ لآخر .

- وما هو حكمك عليه ؟

١٦ - من أية ناحية ؟ طبيا ؟ لقد علمت من إحدى مرضاى أنها ذهبت إليه تعالج أسنانها فوجدته رجلا على قدر كبير من المهارة والرقّة .

- كرجل ؟

- ما هو السر في كل هذه الأسئلة ؟

- لقد اختفت زوجته .

- آه !

ولاح ليجرية أن دوبوك يتفادى الاستمرار في تيسار الأسئلة التي قد تمس الحقيقة ، بما قال :

- إن مثل هذه الأمور تقع كثيرا . اليس كذلك ؟ ولقد أخطأ بما فعله من تكليفه الشرطة البحث عنها . فما أظن أنها ستغفر له ذلك .

وفضل ميجريه الإيتمادى في حديثه مع دوبوك . ورائ أن يعرج في طريق عودته على الجاراج . ولاحظ أنه يقع في مواجهة إحدى العمارات ، حيث وجد الحارسة تقوم بتنظيف مقبض الباب الرئيسي . فسألها :

- هل تطل نافذة غرفتك على الشارع ؟

- وهل هذا من شأنك ؟

- أنا من ضباط الشرطة . وأردت بسؤالى أن أتبين ما إذا كنت تعرفين شيئا عن الشخص الذى يحتفظ بسيارته فى الجاراج المقابل الأول من اليمين .

- إنه طبيب الأسنان .

- وهل قرينه من وقت لآخر ؟

- أراه عندما يحضر ليستقل سيارته .

- وهل رأيتته خلال هذا الأسبوع ؟

- آه !

- مهلا ! ان هذا يذكرني - ماهذه الضجة التي كانت في
جارجيه أمس مساء ؟ هل سطا عليه اللصوص ؟ لقد قلت لزوجي .
- لا . لم يكونوا بلصوص .
- وهل كنت أنت ؟
- لا عليك من ذلك . هل رأيتَه يستقل سيارته هذا
الاسبوع ؟
- أعتقد ذلك .
- ألا تذكرين في أي يوم ؟ أو في أي وقت ؟
- كان ذلك في احدى الليالي ، وفي وقت متأخر . انتظر .
- كنت قد نهضت من فراشي في ذاك الوقت . لا تنظر الى هكذا .
- سأتذكر كل شيء .
- وبدت وكأنها تقوم بعملية حسابية .
- كنت قد نهضت من الفراش ، لأن زوجي كان يشكو من
الم في أسنانه . ولو كان هنا ، لأخبرك في أي يوم كان ذلك .
- وتصادف عندئذ أنني رأيت مسيو سيريه خارجا بسيارته من
الجراج . فقلت لنفسي يالها من مصادفة !
- وذلك لأن زوجك كان يشكو من أسنانه ؟
- نعم . وفي نفس هذا الوقت أرسلت لنا السماء طبيب أسنان
الا أن ذلك كان بعد منتصف الليل . آه . . . لقد رأيت الآنسة
جيرمان داخلة . لقد كان ذلك يوم الثلاثاء ، لأنها تذهب كل ثلاثاء
للعب الورق مع بعض الأصدقاء .
- وهل كان خارجا بالسيارة ؟ أم كان عائدا بها ؟
- كان خارجا بها ولذلك عدلت عن استدعائه .
- وفي أي اتجاه قاد سيارته ؟
- في اتجاه السين .
- ألم تلاحظي أن السيارة توقفت بعد مسيرها بقليل . أمام
مئزل المسيو سيريه مثلا ؟

- لم أتبع خط سيرها • فقد كنت حافية القدمين ولم أستطع الوقوف مدة أكثر من ذلك - ماذا ينسب اليه ؟ •
وماذا كان بوسع ميجرية أن يجيب به ؟ فشكرها وسار في طريقه • ثم اجتاز حديقة المنزل وقرع الجرس • وفتحت أوجيني الباب وحدجته بنظرة عتاب قاسية وهي تقول له في اقتضاب :
- انهم في الطابق العلوى الآن •

اذن فقد انتهوا من الطابق الأرضى • وسمع وقع أقدامهم فى الطابق العلوى ، كما سمع صوت تحريك المقاعد وقطع الأثاث •

وارتقى ميجرية فى الدرج الى الطابق الثانى ، حيث وجد السيدة سيريه جالسة على مقعد فى وسط المكان • فما أن وقع بصرها عليه حتى قالت :

- لم أعد أدري أين أذهب • عم يبحثون يامسيو ميجرية ؟ •

أما جيلوم سيريه فكان واقفا فى احدى الغرف يشعل سيجارا جديدا •

ثم سمع ميجرية السيدة سيريه تقول وهي تثهد :
- يا الهى ! لماذا تركناها ترحل عنا ! اذا كنا نعلم ان ...
ولم يتم ماكانت تريد قوله •

الفصل السادس

كانت الساعة قد بلغت الرابعة الا عشرين دقيقة عندما حزب ميجرية أمره ، وفى تمام الرابعة وخمى وعشرين دقيقة بدأت عملية الاستجواب • غير أن المأساة كانت قد تمت فصولها فى اللحظة التى حزب ميجرية فيها أمره •

ولقد كان سلوك ميجرية مفاجئا لكل من كان يعمل معه فى البيت القائم بشارع دى لافيرم • وكانت تصرفاته مبعثا لدهشتهم جميعا ، منذ أن بدأ كبير المفتشين يدير عملية التفتيش • ولم تكن هذه العملية بأول عملية من نوعها ، يشتركون فيها مع رئيسهم ، إلا أنها كانت الأولى من نوعها من حيث طبيعة القيام بها ، ومن حيث

فهبج أدائها الذى كان يختلف اختلافا بينا عما مداه . وكان جانفوية
وهو خير من يعرف رئيسه ، أول من شعر بهذا التغيير .

فقد لاحظ عندما أطلق المفتش يدهم فى مهمتهم التى كلفهم
القيام بها ، أنه يشع من عينيه بريق خاطف مشوب بالقسوة
والتصميم . فتركهم ، على خلاف عادته ، يعيثون فى البيت فسادا
كقطيع من كلاب الصيد . وكان كل ما فيه يحرضهم على ذلك
ويدفعهم اليه دفعا .

فهل كان الأمر ، أمرا خاصا بينه وبين جيلوم سيريه ؟ أو
بمعنى أدق : هل كانت الأمور تسير هكذا ، وكان ميجريه يتخذ
نفس القرار فى نفس اللحظة ، لو أن رجل شارع دى لافيرم كان
أخف ظلا وأخف وزنا ؟

لقد بدا ميجريه من أول وهلة ، وهو يتوقب الفرصة للايقاع
به . ولو لم يكن جانفوية على معرفة تامة برئيسه ، لعزا تصرفاته
هذه ، وما كان يراه منه من تشف بما صار اليه البيت من فوضى :
الى أسباب أخرى خفية .

فلم يسبق لهم من قبل أن أعطوا مثل هذه الفرصة للتفتيش
فى منزل كان يسوده الهدوء والنظام ، وكأنه محراب مقدس .
وانقلب كل ما فيه رأسا على عقب ، ثم لم يخرجوا من ذلك بأى
دليل يخدم القضية ، بالرغم من هذه الساعات الطويلة من البحث
والتنقيب .

وعندما قرر ميجريه مقرر فى الساعة الرابعة الا عشرين دقيقة
لم تكن عملية التفتيش قد اسفرت عن شىء بعد . بل كان القائمون
بذلك قد بدءوا يشعرون بالحرج ، وينتظرون من رئيسهم أن يصدروا
اليهم أمره بالانسحاب مع تقديم ما يجب من اعتذار ، لمن لحق به كل
هذا وتعرض لما تعرض اليه .

فماذا يكون هذا الذى دفع ميجريه لأن يتخذ هذا القرار ؟ أترأه
يدرك هذا ؟ لقد ذهبت بجانفوية الظنون كل مذهب ، حتى شك
فى أن يكون رئيسه قد أسرف فى الشراب عندما ذهب ليتناول وجبة

لخفيفة في المقهى المقابل للبيت • وأيد شكوكه أنه اشتم من ميجرية
وألحة البرنو التي كانت تفوح من فمه •

ولم تقم أوجيني بإعداد المائدة لطعام الغداء • وكانت تروح
وتغدو هامسة في اذن كل من السيدة سيريه وولدها • وأخيرا
توجهت السيدة الى المطبخ وتناولت طعامها وهي واقفة في عجلة
على حين أحضرت الخادم بعض الشطائر وفنجانا من القهوة للدكتور
جيلوم •

ثم وصلوا في تفتيشهم الى غرف السطح • تلك الغرف التي
تعتبر من أكثر الغرف احتواء لكل ماهو شخصي ، أكثر من غرف
النوم نفسها •

وقام جانفييه بفتح حقيبتين من الجلد وجد بهما بندقيتين قام
بفحصهما أحد المختصين بفحص الأسلحة النارية •

- هل هما لك ؟ •

- كانتا لصهرى • ولم يسبق لي استعمالهما •

وكانوا قد عثروا منذ ساعة على مسدس بغرفة جيلوم ، ضمة
ميجرية بعد فحصه ، لمجموعة ما رأى أن يحمله معه من أشياء لاعادة
فحصها ومضاهاتها •

وكانت هذه الأشياء عبارة عن دفاتر الطبيب ، وبعض شهادات
الوفاة الخاصة بالاسرة ومن بينها شهادة وفاة زوجة جيلوم الأولى •
كما كان من بينها سترة لاحظ جانفييه أن بها تمزقا طفيفا ، قرر
جيلوم انه لم يسبق له ارتداؤها منذ عشرة أيام • الى غير ذلك من
مثل هذه الأشياء •

واستمروا في عملهم رغم حلول وقت الغداء • واكتفوا بتناول
وجبات خفيفة في المقهى المقابل كل بدوره • أما مويرز فلم يبرح
مكانه واكتفى ببعض الشطائر التي أحضرها له المصور الفوتوغرافي •

وحوالى الساعة الثانية بعد الظهر ، اتصلت الادارة بميجرية
لاخطاره بوصول مظروف كبير من هولاندا بطريق الجو • فطلب

اليهم فتحه . واتضح أنه يحتوى على رسائل ماريا المكتوبة باللغة الهولندية .

ـ ابحاثوا عنم يقوم بترجمتها فورا .

ـ هنا ؟

ـ نعم . مع ملاحظة عدم انصرافه قبل وصولي .

ولم يغير جيللوم سيريه من حالته . وظل يتبعهم فى جميع خطواتهم ، غير تارك أية حركة تصدر عنهم الا احصاها عليهم كما ظل محافظا على هدوئه وثباته ، لا يثيره شىء او يستفزّه تصرف .

وكان يخصص ميجريه بنظرات لها معناها . وكان من الواضح البين ، أنه لم يكن يشعر بوجود غيره من رجال الامن العام . لقد كان الشوط سجلا بين الاثنين . وكان الصراع بين شخصين . وكنت ترى فى عينى الطبيب تعبيرا ، لا تدرى اهو نظرة عتاب ولوم أم هو نظرة احتقار وازدراء .

ومهما يكن من أمر ، فان هذا الرجل لم يسمح لكل ذلك بان يحرك منه ساكنا . ولم يتنازل ليعترض على أى تصرف . ووقف صاغرا يتأمل هذا الغزو لبيته ، وذاك الانتهاك لحرمته ، فى شموخ وعزوف عن أن تبدر عنه بادرة .

ماهى حقيقة هذا الرجل ؟ وماذا تراه يكون ؟ وما هو سسند سلوكه هذا ؟ اهو سلوك الرجل الواثق بنفسه ؟ أم هو سلوك الرجل الذى لا يدرك حقيقة ماهو فيه ؟ وهل يتفق ههنا مع ماوصفته به ماريا ، من أنه ليس بأكثر من صبي يافع ؟ لقد كان رجلا شاحب اللون ، مصفر البشرة ، معتل الصحة ، رغم ضخامة جسمه . وعثرت الحملة على مجموعة كبيرة من روستات الاطباء ، يرجع تاريخ بعضها الى عشرين عاما . مما يمكن معه الاحاطة التامة بتاريخ الأسرة الطبى ، ومعرفة تطور حالاتها المرضية . كما عثرت الحملة ، علاوة على ذلك ، على أكداس من زجاجات الأدوية ما بين قديم وجديد .

وكان جانفبيه في كل مرة يخرج مع زملائه من غرفة الى غرفة
أخرى ، يحرص على أن ينظر الى رئيسه بما يعنى :

- أو فشل آخر ! .

لأن جانفبيه كان لا يزال يراوده الأمل في الكشف عن دليل
جديد . فهل كان ميجريه من ناحية أخرى يرغب في العكس ؟ وذلك
لأنه لم نبد عليه الدهشة في أية مرحلة من مراحل فشلهم ، وهو
يراقبهم في هدوء ، مدخنا غليونه في تراخي الكسل . وكثيرا ما كان
ينسى أن يلقي بنظرة صوب طبيب الاسنان فترة تربو على ربيع
ساعة .

وأخيرا هبطوا جميعا الى الطابق الارضى بعد أن انتهوا من
عملهم . وتبعهم جيللوم سيريه ، وخرجت والدته تطل عليهم من أعلى
الدرج لتراهم في انصرافهم ووقفوا جميعا في حالة بادية من القلق
وقد أحاطت بهم آثار أعمالهم .

ونظر ميجريه الى سيريه ، في هدوء غير مصطنع ، قائلا :

- هل تسمح باستكمال ارتداء ملابسك ؟ .

وفهم سيريه ما يعنيه ذلك . فحلق في وجهه مندهشا
محاوولا الا تفضحه خلجات وجهه . وهمت والدته بالكلام ، سواء
أكان ذلك لتحتج أو لتطلب ايضاحا . فلم يدعها جيللوم تتم
ما ازمعت الجهر به ، فأمسك بذرعاها واتجه بها الى غرفتها .

وسأل جانفبيه رئيسه هامسا :

- أو تلقى القبض عليه ؟ .

ولم يجبه ميجريه بشيء . لأنه هو الآخر لم يكن يعرف . ولقى
الحق أنه لم يكن قد قرر ذلك ، الا في نفس تلك اللحظة التي طلب
الى سيريه فيها أن يستكمل ارتداء ملابسه .

ـ ادخل يامسيو سيريه • هلا تفضلت بالجلوس ؟ •
وكانت الساعة حينئذ قد أتمت الدقيقة الخامسة والعشرين بعد
الرابعة وكان اليوم يوم سبت • وقام كبير المفتشين الى الباب
فأغلقه • أما النافذة فتركها مفتوحة • وعاد بعد ذلك الى مقعده
أمام مكتبه وهو يقول للطبيب :

ـ لقد طلبت منك أن تجلس •

ومرت عشر دقائق لم ينطق ميجريه قيهما بكلمة ، بل شغل
أنفسه بالتوقيع على بعض الاوراق التي كانت موضوعة فوق مكتبه
وبعد ان انتهى من ذلك استدعى جوزيف وسلمه الاوراق • ثم أخذ
يعد غلايينه العديدة في هدوء متعمد ، ويملوها بما يلزم من تبغ •

ولم يكن من الطبيعي ، لشخص في مثل موقف سيريه ، أن
يظيق ذلك ، ولا يفقد أعصابه ، وأن يجلس في هدوء منتظرا
ما سيوجه اليه من أسئلة •

وأخيرا طرق بعضهم الباب ، ثم دخل المصور الفوتوغرافي الذي
كان يشترك معهم في العمل طوال اليوم ، والذي كلفه ميجريه مهمة
ها ، وسلم كبير المفتشين مستندا حديث التحميص •

ـ شكرا يادامبو • لاترك مكتبك حتى تخطرني بذلك •

وانتظر حتى خرج المصور ، ثم اشعل غليونه •

ـ هل لك في أن تقترب بمقعدي قليلا ، يا مسيو سيريه ؟ •

وجلس كل منهما في مواجهة الآخر • ولم يكن ليفصلاهما
الا مكتب ميجريه • وقام هذا بتسليم المستند لسيريه دون تعليق •
إقام بفحصه بكل عناية ثم وضعه على المكتب بعد أن انتهى من
الإطلاع عليه •

ـ انى أنتظر •

ـ ليس لدى ما أقوله •

وكان هذا المستند ، صورة طبق الأصل لاحدى صفحات دفتر
يحتزن الأدوات المنزلية • وهى الصفحة الوارد بها واقعة بيع لوح

الزجاج والمعجون في الدفعة الثانية •

- هل تدرك مايعنيه هذا ؟ •

- هل أفهم من ذلك أنك تتهمني ؟ •

فتردد ميجريه قليلا • ثم استقر على مايجيب به قائلا :

- لا • انك مدعو بصفة رسمية لسماع أقوالك كشاهد • ومنع

ذلك فأننى مستعد أن أوجه التهمة اليك اذا كانت هذه هى رغبتك •

أو بمعنى أدق ، أن أصر النائب العام أن يوجه اليك الاتهام • الامر

الذى يعطيك الحق فى أن تستشير أحد المحامين •

- سبق أن قلت لك أننى لست بحاجة الى محام •

كان الحديث السابق ، بمثابة الخطوات الأولى فقط • الخطوات

الأولى بين بطلين من الوزن الثقيل ، يقيس بها كل منهما كفاية الآخر

فى هذه الغرفة التى أصبحت حلقة للصراع بينهما • وهناك فى

الغرفة الأخرى ، التى كان يجلس فيها جانفبيه بين زملائه ، دار

هذا الحديث ، عقب فترة الصمت التى رانت عليهم ، بعد أن استمعوا

لما سرده عليهم زميلهم ، الذى قطعه بقوله :

- أراهن ان أمامنا شوطا لا يستهان به ! •

- هل تظن أن الرئيس قد بدأ ؟ •

- نعم • لقد قرأت ذلك فى وجهه •

وكانوا جميعا يعرفون معنى ذلك بالنسبة اليهم • وكان جانفبيه

أول من اتصل منهم بزوجته ، ليخطر بها باحتمال عدم عودته لمنزله

هذا المساء •

- مسمو سيريه ! هل تشكو من ضعف فى القلب ؟

- تضخم فى القلب • ويحتمل أن تشكو أنت من ذلك أيضا •

- لقد توفي والدك نتيجة لضعف فى قلبه عندما كنت فى سن

السابعة ، اليس كذلك ؟ •

- السابعة عشرة والنصف •

- وقد توفيت زوجتك الأولى نتيجة لضعف فى قلبها كما كانت

زوجتك الثانية تشكو أيضا من ضعف قلبها •

- إذا ماراجعنا الإحصاءات ، وجدنا أن ٣٠ ٪ تقريبا يموتون نتيجة لهبوط في القلب .
- هل أنت على حياتك يامسيو سيريه ؟
- منذ كنت طفلا .
- هذا صحيح . • فقد اطلعت على وثيقة التأمين ، وعلى ما ذكر
- أعتقد أن والدتك لم تؤمن على حياتها .
- هذا صحيح .
- وهل كان والدك مؤمنا على حياته ؟
- أعتقد ذلك .
- وزوجتك الاولى ؟
- لقد رأيتك تأخذ المستندات التي تخصها معك .
- وزوجتك الثانية هي الاخرى كانت تؤمن على حياتها ؟
- ان هذا اجراء طبيعي .
- ان غير الطبيعي ، أن يحتفظ الانسان بمبلغ طائل يتجاوز ثلاثة ملايين من الفرنكات الذهبية والعملة الورقية في خزانة بيته .
- هل ترى ذلك ؟
- أو يمكن أن تفسر لي ، لماذا تحتفظ بمبلغ كهذا في بيتك ؟
- نصحيا بما قد يعود عليك من فائدة اذا ماودعته البنوك ؟
- ما اظن الا أن الآلاف من الناس ، لفاعلة ذلك ، في أيامنا هذه ، أو نسيت الضرائب الباهظة ، وتخفيض قيمة العملة . . الى غير ذلك مما يمر بنا في هذه الايام من . . .
- اعرف ذلك ، اذن فأنت تعترف بأنك قصدهت بتصرفك هذا إخفاء ماتملك والتهرب من الضرائب اضرازا بخزانة الدولة ؟
- والتزم سيرية جانب الصمت .
- وهل كانت زوجتك - أعني زوجتك الثانية ماريا - تعلم بأنك تحتفظ بهذا المبلغ في بيتك ؟
- نعم .

- وهل علمت منك أنت بذلك ؟ •
- لقد كانت تحتفظ بمبالغ تخصصها مع ما يخصني حتى أيام قليلة •
- وكان يتخير الفاظه وهو يقول ذلك ، كما كان ينطق بكل كلمة واحدة بعد أخرى في روية وفي أناة ، محققا بعينه في وجه كبير المفتشين في اشفاق وحيرة •
- لم أجد بين أوراقك عقد زواج ، أو يمكن أن أستنتج من ذلك أنكما تزوجتما في ظل قوانين التملك المشترك ؟ •
- هذا ما حدث فعلا •
- ألا يبدو هذا عجيبا بالنسبة لسن كل منكما ؟ •
- لقد بينت لك السبب في ذلك ، ان العقد كان يعنى بالنسبة لنا ، التزام كل منا باستخراج كشف حساب بما لنا وما علينا لإعلانه مع العقد •
- ومع ذلك ، فان التملك المشترك (اختلاط الذمة) ، ليس له في الواقع حقيقة عملية •
- لقد احتفظ كل منا بحق اطلاق يده في شئونه الخاصة •
- أولا يبدو كل ذلك طبيعيا لاغرابة فيه •
- هل كانت زوجتك من الاثرياء ؟ •
- ولا زالت تعد من الاثرياء •
- هل يعتبر ثراؤها في مستوى ثرائك ، أو أكثر ؟ •
- في مستوى واحد تقريبا •
- وهل تحتفظ بكل أموالها في فرنسا ؟
- بالبعض منها فقط ، فقد ورثت عن والدها حصة في مصنع للجبين بهولاندا •
- في أية صورة كانت تحتفظ بما تملك عدا ذلك ؟
- كانت تحتفظ به ذهبيا •
- حتى قبل أن تلتقي بك ؟

ـ أستطيع أن أتبين ما ترمى إليه • ومهما يكن من أمر فسأصرح لك بالحقيقة : اني اشترت عليها ببيع كل ما تملك من سسندات وأسهم ، وبأن تشتري بثمانها ذهباً •

ـ وهل احتفظت بهذا الذهب مع ما تحتفظ به أنت في الخزانة ؟
ـ نعم •• بحسب ما كان •

ـ ما كان حتى متى ؟ •
ـ حتى يوم الثلاثاء ، إذ انها بعد ظهر ذلك اليوم ، وبعد أن كادت تفرغ من اعداد حقايبها ، حضرت الى حيث كنت بالطابق الارضى وسلمتها كل ما يخصها •

ـ اذن فقد كان هذا المبلغ ، عندما رحلت ، ضمن ما كان في احدى حقيبتيهما أو في الصندوق ؟ •

ـ هذا هو المفروض •
ـ هل تركت المنزل قبل العشاء ؟
ـ لم أسمع أنها خرجت •
ـ اذن فهي لم تخرج بناء على معلوماتك ؟ •
ـ فأوما برأسه مؤكداً •
ـ ألم تستعمل التليفون ؟

ـ التليفون الوحيد الموجود بالمنزل بحجرة مكتبي ، وهي لم تحاول استعماله •

ـ وكيف يمكن أن أتأكد من أن ما وجدته من أموال بالخزانة هو لك وحدك ، وانه لا يخصكما معا ؟ •

ودون أن يفعل ، أو يغير من تعابير وجهه التي تنطق بكل معانى الضيق والازدراء ، أخرج الطبيب من جيبه مفكرة خضراء اللون ، قدمها لكبير المفتشين الذي وجد بصفحاتها أرقاما مكتوبة بخط أنيق ، وكانت هذه الأرقام مدرجة في عامودين يعلو العمود الأول حرف (ل) ويعلو الثاني حرف (م) •

ـ ماذا يعنى حرف (ل) ؟ •

- لنا ، أى ما يخص والدتى ويخصنى ، لانتنا نشترك فى كل
شئ طوال حياتنا دون تفرقة أو تمييز بين مالى ومالها .
- وحرف (م) فيما ارى ، يشير الى ماريا .
- تماما .

- الاحظ أن هناك رقما يتكرر بانتظام .
- هذا الرقم يشير الى نصيبها فى نفقات المنزل .
- أو كانت تدفع لك فى كل شهر تكاليف اقامتها وطعامها ؟
- هذا اذا شئت أن تعتبره كذلك ، وفى الواقع أنها لم تكن
تدفع لى شيئا ، لان جميع ماتملك من نقود كان موضوعا فى الخزانة
الا أن رصيدها كان ينقص بمقدار هذا المبلغ .

وأخذ ميجرية بعد ذلك يتصفح ماورد بالمفكرة ويقلب اوراقها
دون أن يتكلم ، ثم نهض عن مقعده واتجه الى الغرفة المجاورة
لغرفته ، حيث كان يجلس رجال المباحث ، الذين تظاهروا بأنهم
منهمكون فى أعمالهم ، تماما كصبية المدارس عندما يفاجئهم
استاذهم .

وأصدر بعض التعليمات والاوامر الى جانففيه بصوت منخفض ،
ثم عاد أدراجه الى غرفته ، حيث وجد سيريه ، لم يزل جالسا على
مقعده لم يتحرك ، وفى يده سيجار أشعله حديثا ، فتمتم عندهما
عاد ميجرية ليجلس الى مكتبه :

- هل تسمح ؟
فرفع ميجرية كتفيه وكأنه اراد أن يقول أن هذا لا يعنيه .
- هل فكرت فى موضوع شرائك لزجاج النافذة للمرة الثانية
يامسيو سيريه ؟
- لم أكلف نفسى عناء التفكير فى هذا .

- أنا لاوافقك على ذلك ، يحسن بك أن تجد تعليلا معقولا لهذا
الموضوع .
- لانى لست بحاجة لان .

- أو ما زلت مصرا على ترديد ما سبق أن تحدثت به من أنك لم
تصلح زجاج نافذة غرفة مكتبك الا مرة واحدة ؟
- في اليوم التالي لقيام العاصفة .

- أو تحب أن تثبت لك عن طريق مصلحة الارصاد الجوية انه
لم تكن هناك أية عاصفة جوية يوم الثلاثاء ليلا بناحية نويللي .

- لست أرى داعيا لذلك ، اللهم الا اذا كنت ترغب في ذلك ،
لأننى أقصد بما أقول عن العاصفة تلك التى هبت فى الاسبوع الماضى
ولست أرى فيما قلت أى لبس .

- لقد توجهت فى اليوم التالى لهبوب العاصفة الى المتجر الكائن
بشارع دى لونجشامب واشتريت لوحا من الزجاج وقصدوا من
المعجون .

- وهذا ما تحدثت به فعلا .

- هل تقسم أنك لم تتوجه الى هذا المتجر بعد هذه المرة ؟

ثم دفع بالصورة الفوتوغرافية للمستند السابق عرضها عليمة
تستطردا :

- فسرى الدافع للقائمين على أمر هذا المتجر ، حتى يثبتوا هذا
بأوراقهم ؟

- لست أجد لذلك تفسيرا .

- ولماذا يقرر مدير المتجر أنك توجهت اليه صباح الاربعاء حوالى
الساعة الثامنة ، اذا لم تكن قد ذهبت اليه فعلا ؟

- لست مسئولاً عما يقرره .

- متى استعملت سيارتك آخر مرة ؟

- يوم الاحد الماضى .

- والى أين ذهبت بها ؟

- من عادتنا أنا ووالدتى ، أن نخرج بالسيارة كل أحتة ، مدية

صاعتين أو ثلاث ، لنجول بها قليلا .

- وإلى أى مكان اتجهتما فى هذه المرة ؟

١٠ - سرنا في طريق غابة فوننتبلو .

١١ - وهل كانت زوجتك معكما ؟

- لا لأنها كانت منحرفة المزاج .

- وهل كان الانفصال قد تقرر بينكما ؟

١٢ - لم يكن لذلك علاقة بأمر الانفصال ، ثم انه لم يكن هناك

انفصال بمعنى الكلمة ، كل ما في الامر انها كانت متعبة وفي حاجة

الى بعض التفسير لأنها لم تكن على وفاق مع والدتي . ولقد اجتمعت

كلمتنا على انه قد يكون من الاوفق لها أن تعود الى وطنها عدة

أسابيع او شهور .

١٣ - ومع ذلك سحبت جميع نفودها معها ؟

ب - نعم .

١٤ - ولماذا ؟

- لانه كان من المحتمل ألا تعود ، اننا لم نعد بعد أطفالاً

وبوسعنا أن نأخذ الحياة مأخذ الجد في تعقل وهدوء ، وما الحياة

الا تجارب .

١٥ - خبرني يا ماسيو سيريه ، من المعروف أن هناك منفذين على

الحدود للوصول عن طريقهما الى أمستردام ، اليس كذلك ؟ ومن

المسلم به أن رجال الجمارك الفرنسيين لا يتساهلون في تطبيق

قوانين النقد ، فكيف لم تخش زوجتك أمرها بما معها من ذهب

وما تعلمه مما يستتبعه ذلك ؟

١٦ - أيتعين علي أن أجيب عن هذا السؤال ؟

١٧ - أعتقد أن هذا يكون من الأفضل لك .

١٨ - حتى ولو كان في اجابتي ما أخطر به من مخالفة للقوانين

والاجراءات ؟

١٩ - مهما كانت عقوبة هذه المخالفة ، فهي أقل جدبة من اتهامك

بإرتكابك جريمة القتل .

٢٠ - حسنا ، ان احسدى حقائب زوجتي كانت مزودة بقناع

سحري .

ـ وهل أعد ذلك من أجل هذه الرحلة فقط ؟

ـ لا .

ـ وهل استعملت هذه الطريقة من قبل ؟

ـ عدة مرات .

ـ ولتتمر بها من الحدود ؟ (٥)

ـ الحدود البلجيكية ، وفي مرة الحدود السويسرية ، وأنا وأنت
تعلمك أنه حتى وقت قريب ، كان الحصول على الذهب في بلجيكا
وفي سويسرا بالذات ، أكثر يسرا وأقل في التكاليف مما هو في
غيرها من البلاد .

ـ وهل تعترف باشتراكك في هذه العمليات ؟

ـ أعترف .

وعندئذ نهض ميجرية عن مقعده واتجه للغرفة المجاورة .

ـ جانفييه ، هل لك في أن تنضم إلينا لحظة ؟

فلما عاد بصحبة جانفييه قال لسيريه :

ـ سيسجل مساعدى هذا الجزء من مقابلتنا . أرجو أن تعيدنا

على مسامعه حرفيا كل ما أخبرتنى به .

ثم قال لجانفييه :

ـ وليوقع بامضائه على أقواله بعد اثباتها .

ثم ترك ميجرية الغرفة ، إلى حيث طلب من قاشيه أن يدلّه
على الغرفة التي خصصت للمترجم . ووجدته وجلا ضئيل الجسم
يضع على عينيه نظارتين ، يؤدي ماعهد به إليه من ترجمة للرسائل
بكتابتها على الآلة الكاتبة فورا ، متوقفا بين الفترة والأخرى
ليراجع كلمة بالقاموس الذي أحضره معه .

ولاحظ ميجرية أن عدد الرسائل يقارب الأربعين رسالة .

يتضمن معظمها عدة صفحات .

ـ من أين بدأت ؟

ـ من أولها . لقد وصلت إلى الثالثة . وتلك الرسائل الثلاث

مؤرخة منذ عامين ونصف . ففي أولها تخبر السيدة صديقتها

بأنها ستتزوج وأن زوجها رجل مرموق ، قوى الشخصية ، ينتمى
الى طبقة مهنية سامية . وأن والدته أقرب ماتكون شبيها باحدى
تلك اللوحات التى شاهدهتها باللوفر ، وسأخبرك باسم صاحب
اللوحة .

ثم قلب الصفحات قائلا :

- كلويت . انها تشير فى رسائلها دائما الى اللوحات . فاذا
ما تحدثت عن الطقس مثلا ، ذكرت اسم مونييه أورينوار .

- افضل من الآن ان تبدأ بترجمة الرسائل من آخر رسالة .

- كما تريد . انك تعرف طبعا ، اننى اذا قضيت طول الليل
فى هذا العمل ، فاننى لن أنتهى منه قبل صباح الغد ؟ .

- ولذلك سألتك ان تبدأ من آخر رسالة . ما هو تاريخ
الرسالة الاخيرة ؟ .

- يوم الاحد الماضى .

- هل يمكن ان تعيد تلاوتها مترجمة الآن ؟

- يمكن ان أعطيك فكرة عنها . انتظر لحظة .

- عزيزى جرتروود ،

- « لم تكن باريس فى مثل روعتها هذا الصباح ، وكنت على
وشك الخروج مع ج ووالدته للتمتع بفسحة فونتنبلاو وبما فيها
من .. » .

- هل هناك الكثير من هذا القبيل ؟

- هل أترك سرد هذا الوصف ؟

- أرجوك .

- فشرع الرجل يمر بعينيه مر الكرام على مثل هذه الصفحات
حتى قال أخيرا :
- اليك ما تبقى ؟

- وانى لاتسأل عما سأشعر به عند عودتى الى هولندا والى

ظلالها المورقة وعمما سيكون لها من اثر في نفسي . وانك لتجديني
كلما اقتربت من هذا اليوم ، ازدادت خشيتي منه .

« ولعلك تعجبين من قولي هذا . وتتساءلين ، بعد كل
ماحدثك به عن ج وعن والدته ، عن السبب في شعوري هذا ، وعمما
طراً واستجد ليبعاد بيني وبين ما كنت أشعر به من سعادة لمجرد
التفكير في عودتي .

— ولعل مرجع ذلك الى الحلم الذي رأيته في نومي ، والذي
أقضى مضجعي وافسد على يومي . الا زلت تذكرين هذه اللوحة
الصفيرة التي شاهدناها معا في متحف لاهاي ، وشعرنا بالخجل
ونحن نتأملها ؟ ان صاحبها غير معروف لانه لم يقعها . الا انها
ينسب الى أحد الرسامين من مدرسة فلورنتين والذي لم اعد
أذكر اسمه الآن . الا تذكرين ؟ انها رسم لرجل من رجال القابات
الخرافيين وقد حمل على كتفه امرأة ظهر من حركاتها انها تقاومه ،
لعلك تذكرين الآن ؟

— لقد كان وجه هذا الرجل هو وجه ج ، وكانت تعابير وجهه
من القسوة بحيث أزعجتني ، ووجدتني أستيقظ من نومي وأنا
أستحم في عرقي وأرتجف فرقا .

— ولعل ما يدعو للعجب حقا ، أنني عندما أستيقظت من
نومي ، وجدتني فريسة لفكر مشوش ، اختلط فيه الخوف بشعور
آخر ، لست أدري كنهه ، أفضل ان أرجىء شرحه لك عند ما كنا
نجلس لنتحدث في مختلف الموضوعات .

— لقد تقرر ان أرحل يوم الثلاثاء ليلا . وهو تاريخ محدد
لا جدال فيه . ومن ذلك ترين انه لم يعد أمامنا الا يومان ، ثم
يتم اللقاء . وانني لأراه بعيدا بالرغم من ذلك . وسأكون مشغولة
أقيما لدى من اعداد وترتيب ، الامر الذي أرجو ان يهون من طول
هذه المدة .

— ويثابني شعور أحيانا ، وبالذات بعد هذا الحلم ، بأنه
سيقع ما يكون من شأنه ان يحول دون رحيلي .

- لا تقلقى . ان قرارى نهائى . وساعمل بنصيحتك . فلم
أعد استطيع تحمل هذه الحياة بعد . ولكن .
- هل أنت هنا ، يا سيدى الرئيس ؟
وكان القادم جانفبيه بعدة أوراق فى يده .
- لقد تم كل شيء . انه ينتظر .
فتناول ميجرية الاوراق ، وترك المترجم ليواصل عمله ، وعاد
الى غرفة مكتبه وقد استغرق فى تفكير عميق .

ولم يكن من المستطاع حينئذ ، ان يتنبا احد ، بما سيقضيه
هذا الاستجواب من وقت . وما أن دخل كبير المفتشين الغرفة
حتى حول جيلوم سيريه عينيه فى اتجاهه : وأمسك بقلم
مستفسرا .

- اظن ان الامر يستلزم توقيعى ؟
- نعم ، هنا . هل راجعت أقوالك ؟
- نعم . هل يضايقك أن أطلب كوبا من الماء ؟
- الا تفضل كأسا من النبيذ الاحمر ؟

فتأمله الطبيب مبتسما . ابتسامه كلها تهكم ومرارة . ثم قال
له بازدراء
- أو هذا ايضا ؟

- وهذا ايضا يا مسيو سيريه . لقد بلغ بك الحال ، أنك كنت
تتعاطى الخمر خفية خوفا من والدتك .
- أوسؤال آخر يتعين على أن اجيب عنه ؟
- هذا اذا رغبت فى ذلك .

اذن فلتسمح لى بأن أخبرك بأن جدى لوالدتى كان سكيرا .
وكذلك كان حال شقيقى ووالدتى قبل وفاتهما . وبأن خالتى قضت
آخر أيام حياتها فى مصحة للأمراض العقلية . الامر الذى ترتب
عليه ، أن والدتى تعيش فى خوف من أن أسلك مسلكهم . لانها
تعتقد أن هذا الميل ميل وراثى . لذلك كانت تنتظر عودتى عندما
لكنت طالبا . وليس للخمر دور فى حياتنا المنزلية ، وان كنا نحفظ

في القبو بكميات كثيرة من النبيذ . وكانت تحتفظ دائما معها
بمفتاح هذا القبو .

— انها لا تسمح لك بأكثر من كأس من النبيذ المزوج بالماء
مع كل وجبة غداء أليس كذلك ؟

— أنا أعرف أنها جاءت الى هنا لزيارتك والتحدث اليك .
— وهل أخبرتك بما قالته لي ؟
— نعم .

— هل أنت شديد التعلق بوالدتك يا مسيو سيريه ؟

— اننا قضينا معظم أيام حياتنا معا .

أقرب شبيها بحياة زوجين متلازمين ؟

فاحمر وجهه قليلا وهو يقول :

— لا أفهم ماذا تعنيه بقولك هذا ؟

— هل تشعر والدتك بالفيرة ؟

— عفوا ، ماذا تقول ؟

— انى أسألك عما اذا كانت والدتك ، كما يحدث غالبا ، تفارق
من كل من يتصل بك . وهل لك أصدقاء ؟

— وهل لهذا علاقة ما ، بما يقال عن اختفاء زوجتى ؟

— اننى لم أعر عند التفتيش على خطاب واحد مما يتبادله

الأصدقاء . ولا على صورة من تلك الصور الفوتوغرافية التى تجمع

بين الأصدقاء والتى يصادفها الانسان فى كل بيت تقريبا .

ولاذ الطبيب بالصمت ولم يعقب .

— كما أتى لم أعر على صورة لزوجتك الاولى .

وواصل الطبيب اخلاذه الى الصمت .

— واليك شيئا آخر أدهشنى يا مسيو سيريه . الصورة

المثبتة على الجدار فوق المدفأة ، التى أرجح أنها صورة جدك

لوالدتك .

— نعم .

— الجد الذي أدمن الشراب ؟

— نعم .

— وفي كل درج كنت أجد صوراً لأفراد الأسرة من رجال ونساء مع والدتك . وفي الوقت نفسه لم أجد صورة واحدة لوالدك أو لأحد من أفراد أسرته . ألم تلاحظ ذلك وتندهش له ؟

— لم يدر بخلدي شيء من ذلك .

— هل أعدمت هذه الصور بعد وفاة والدك ؟

— بوسع والدتي أن تجيب عن ذلك بأحسن مما أجيب به أنا .

— ألا تذكر شيئاً عن ذلك ؟

— لقد كنت في سن مبكرة .

— لقد كنت في السابعة عشرة من عمرك عندما توفي والدك .

— فماذا تذكر عنه يا مسيو سيريه ؟

— وهل يستتبع استجوابك لي أن تسألني عن هذا ؟

— لعلك ترى أننا لا نثبت شيئاً من هذا الاستجواب . لقلنا

كان والدك محامياً ؟

— نعم .

— هل كان يتولى عمله بنفسه شخصياً ؟

— لم يكن ذلك بصفة مستديمة . فقد كان وكيل مكنته يقوم

بمعظم العمل .

— هل كان رجلاً اجتماعياً . أم كان يقتصر في ذلك على دائرة

الأسرة ؟

— لقد كان كثير الاتصالات والاصدقاء .

— هل كانت له صديقات ؟

— لا أستطيع أن أصرح لك بشيء من هذا القبيل .

— هل توفي وهو ملازم الفراش ؟

— فاجأه الموت وهو يصعد في الدرج الى غرفته .

— هل كنت بالمنزل حينئذ ؟

- لا . كنت بالخارج . فلما مدت للمنزل كان قد توفي منسك
صاعتين .

- ومن الذى تولى امره ؟

- الدكتور دوتيللو .

- وهل ما زال على قيد الحياة ؟

- لقد توفي منذ عشر سنوات .

- وهل حضرت وفاة زوجتك الاولى ؟

وما أن سمع ذلك حتى زوى ما بين حاجبيه ، وحدثه ميجرية
بنظرة ثابتة ، وقلب شفته السفلى بما يؤكد ما يعتمل في نفسه
من تائف .

- أرجو ان تجيبنى عما اسألك عنه .

- كنت فى البيت .

- فى أى مكان منه ؟

- فى غرفة مكتبى .

- كم كانت الساعة حينئذ ؟

- حوالى التاسعة مساء .

- وهل كانت زوجتك فى غرفتها ؟

- لقد لزمتم غرفتها مبكرة ، لأنها كانت متعبة .

- وهل فاجأها المرض قبل ذلك بقليل ؟

- لست أذكر .

- هل كانت والدتك معها حينئذ ؟

- كانت والدتى بالطابق العلوى هى الأخرى .

- معها ؟ ملازمة لها ؟

- لا أعرف .

- وهل والدتك هى التى قامت باستدعائك ؟

- أعتقد ذلك .

- وهل كانت زوجتك ميتة عندما دخلت غرفتها ؟

- لا .

- وهل توقفت بعد ذلك بفترة طويلة .
- بعد عشرين دقيقة تقريبا . وكان الطبيب يقرع الباب حينئذ .
- أى طبيب ؟
- الدكتور دوتيللو .
- وهل كان دوتيللو هو طبيب العائلة ؟
- كان يتولى أمر علاجى مد كنت طفلا صغيرا .
- اكان صديقا لوالدك ؟
- لوالدى .
- وهل رزق بأطفال ؟
- باثنين أو ثلاثة .
- وهل انقطعت كل صلة لك بهم ؟
- لم يسبق لى أن اتصلت بهم شخصيا حتى أفقد اثرهم .
- لماذا لم تخطر الشرطة أن أحدا قد حاول سرقة ما فى خزانتك ؟
- لم يكن هناك ما أخطر به الشرطة .
- ماذا فعلت بالأدوات ؟
- أية أدوات ؟
- تلك الأدوات التى خلفها اللص وراءه عندما لاذ بالفران .
- لم يسبق لى أن رأيت لصا أو معداته .
- ألم تستعمل سيارتك يوم الثلاثاء ليلا او الاربعاء صباحا ؟
- لا . لم يحدث ذلك .
- ألم تشك فى أن أحدا غيرك قد استعمالها ؟
- لم يستجد ما يدعو لان اتوجه الى الجراج بعد ذلك التاريخ .

• = عندما أودعت سيارتك الجاراج ؟ يوم الأحد الماضي ؟ هل لاحظت وجود خدوش بالصندوق الخلفي ، أو بالررف من اليمين ؟

• لم لاحظ شيئاً من ذلك .

• هل تركت السيارة ، أنت أو والدتك ؟

• ولم يجب الطبيب بشيء .

• لقد وجهت اليك سؤالاً .

• وأنا أحاول أن أتذكر .

• انه لن يصعب عليك ذلك . لقد كنت تقود السيارة على مدى الطريق الى فونتنبلو . فهل تركتها وسرتها على الاقدام اقليلاً ؟

• نعم . لقد قمنا بجولة في الريف .

• تقصد في طريق ريفي ؟

• نعم . في طريق ضيق يمر بين الحقول على يمين الطريق العام .

• هل يمكن أن تدلنا على هذا الطريق الضيق ؟

• يمكن أن أرشدكم اليه .

• وهل كان هذا الطريق مغطى بطبقة من الاسفلت ؟

• لا اعتقد ذلك . لا . فهذا امر مستبعد .

• أين زوجتك يا مسيو سيريه ؟

• وقام كبير المفتشين عن مقعده ، غير منتظر رداً . بل استظروا
قائلاً :

• الآننا يجب أن نجدها ، اليس كذلك ؟

الفصل السابع

وعندما أشرفت الساعة على الخامسة ، كان جانففيه داخلا
غرفة ميجرية ، بناء على استدعائه له . وقام الأخير بفلق نافذة
الغرفة برغم حرارة الجو ، بسبب شدة الضوضاء المنبعثة من
الخارج .

وفي تمام الساعة السادسة الا عشر دقائق ، خرج ميجرية من
غرفة مكتبه بعد أن قال لجانففيه :
- انها مهمتك الآن !

وكان الأخير وزملاؤه ، على علم تام بكل ما ستتطور اليه
الأمور ، منذ تلك اللحظة التي أصدر كبير المفتشين فيها أمره
لسيريه بأن يصحبهم ، عندما كانوا بشارع دي لافيرم . كما كان
جانففيه على ثقة تامة ، بأن سيريه لن يستطيع أن يخرج من ادارة
الامن العام بسهولة كما دخلها . ولم يكن ليثير دهشته غير صدور
القران عن رئيسه صدورا مفاجئا ، دون أن ينتظر استكمال جمع
الأدلة بين يديه .

- انها بغرفة الانتظار .

- من ؟

- الأم .

وأمر ميجرية ، الشرطي السري مارليبس ، الذي يتقن فن
الاختزال ، بالوقوف خلف الباب . ثم استفسر منه جانففيه قائلا :
- نفس الأسئلة ؟

- نفس الأسئلة . وغيرها مما قد يتبادر الى ذهنك .

وكانت الفكرة هي تحطيم أعصاب طبيب الأسنان . ولن يتأنيح
لهم ذلك الا بتناوبهم واحدا بعد الآخر في عملية استجوابه ، بعد
نقله الى غرفتهم .

وبقى ميجرية في غرفته وعلى مقعده ، ليواصل عمله باستدعاء
المرجم ، الذي ما أن أقبل عليه حتى بادره مستوضحا :
- فلنتيم ماكانت تتحدث به في رسائلكم ؟

- قمت بترجمة الرسائل الاربع الاخيرة . ولقد صادفتني
افقرة في الرسالة قبل الاخيرة ، وجدت فيها ماقد يثير اهتمامك .

- لقد استقر بي الراى اخيرا ، يا عزيزتى جرتود . ولازلت
اتساءل فيما بينى وبين نفسى كيف حدث ذلك ، الا أنه لم تصادفنى
لأحلام فى الليلة الماضية ، وان كانت صادفتنى ، فقد نسيتهما .

- هل ذكرت الكثير عن أحلامها ؟

- نعم . رددت ذكر الكثير عنها .

- هات ما عندك .

- لطالما سألتنى عما ظرا على من تغيير ، ولطالما أجبتهك بأنك
تتحيلين من الأمور ما ليس له وجود ، وبأننى سعيدة هائلة . وفى
الحق أننى كنت أحاول أن أقنع نفسى بذلك .

- ولقد بدلت أقصى ما فى وسعى ، مدى عامين ونصف ، لأقنع
نفسى مخلصا بأننى أعيش فى بيتى ، وبأن ج كان زوجى .
- ولكننى كنت أشعر فى قرارة نفسى ، كما ترين ، بأن ذلك
كان بعيدا كل البعد عن الحقيقة ، وبأننى كنت غريبة هنا ، وأكثر
غربة مما كنت فى هذا الفندق الذى تعرفينه ، والذى أمضينا فيه
معا ساعات من العمر سعيدة .

- فكيف وصل بى الحال الى ما وصلت اليه ؟ وكيف رأيت
الأمور على حقيقتها وتكشف لى كل شىء ؟

- هل تذكرين أيام كنا فتيات ناشئات ؟ لقد كنا نقضى أوقائنا
لأهيات بمقارنة كل مائق عليه عيوننا - من أناس ، وشوارع ،
وحيوانات - بالصور التى نحتفظ بها بين مجموعات مانعز به من
صور فوتوغرافية ملونة . وكنا نأمل أن تكون الحياة على هسله
الصورة . ثم تقدمنا فيما بعد ، عندما ترددنا على المتاحف ،
وأصبحنا نتخذ من لوحاتها أساسا لمقارنتنا .

- وهذا ما طبقته فى حياتى هنا . وطبقته عامدة دون ايمان بما
أفعل . وفوجئت صباح اليوم ، بالبنت الذى أعيش فيه يبدو
أمامى على حقيقته . رأيت حماتى ، ورأيت ج فى صورتيهما
الحقيقيتين دون قناع من الأوهام .

- لقد تخلصت من هذا القناع لفترة ما - أعنى قناع الأوهام
يجب ان تفهمينى لقد ازلت الفشاوة عن عيني ، وكنت أرفض بعناد
ان اعترف بذلك .

- والآن ، وبعد ان تخلصت من ذلك كله ، عقدت العزم على
ترك هذا المكان . ولم اصرح بذلك لاحد حتى الآن . ولا يوجد عندنا
السيدة الكبيرة اية فكرة عن هذا . ولا زالت تنهج في سلوكها معي
نفس المنهج من الابتسام والرقه المصطنعة مادمت افعل مايتفق مع
ارادتها .

- انه لم يسبق لى ان عرفت امرأة مثلها في حبها لنفسها .

- وقد وضعت تحت الكلمات الأخيرة خطأ ، هذا ما عقب به
القائم بالترجمة هل أستمر ؟ .

- أما عن ج ، فأعتقد انه سيرتاح لرحيلى . ولعله كان يعرف
ان ذلك سيحدث يوما ما منذ البداية . اننا لم نشعر على الاطلاق
بالتفاهم المتبادل بين الزوجين . ولعل في هذا ما يفسر لك ، ما كان
مبعثا لدهشتك منذ بداية زواجنا ، من عدم اشتراكنا في غرفة
واحدة ؟

- اتعرفين اننا بعد ان قضينا عامين ونصف تحت سقف بيتنا
واحد ، لم نزل كشخصين غريبين . وأنى عندما كنت أجده أمامى ،
أشعر بأننى ألقاه لأول مرة ، كما ألقى غيره لقاء عابرا في الشارع أو
في النفق الارضى . وهذا الشعور نفسه ينتابنى عندما يدخل الى
غرفتى . الأمر الذى لم يكن ليحدث كثيرا لحسن حظى .

- ولعله لم يكن ليحضر الى غرفتى في هذه المرات القليلة الا
بناء على توجيه من والدته . فلست أستبعد ذلك . هل يضحك
هذا ؟ طبعا . لأن الأمر لا يكون كذلك بين الزوجين . أما ج فليس
بأكثر من صبي يافع من صبية المدارس توجهه أمه في كل شيء .
هل تفهمين ما أعنى ؟

- ولطالما تساءلت فيما بينى وبين نفسى ، هل كان الأمر كذلك
مع زوجته الأولى . اننى لأستبعد ذلك . وبناء على ما رأيت فان

أمره سيكون كذلك مع الجميع . ان هؤلاء الناس . أعنى الأم والأبن
أكما ترين ، يعيشان في عالم خاص بهما ، وفي دنيا اقتطعاها لهنفسيهما
من الحياة بعيدا ، لا يحتاجان فيها لأحد .

— وانه لما يشير دهشتي ، أن هذه المرأة العجوز ، كان لها
زوج في يوم من الأيام . فلم أسمعها يتحدثان بشيء عنه على
الإطلاق . ففيما عداهما ، لا يوجد في هذا العالم أحد يعترفان
بوجوده أو يتحدثان عنه ، الا تلك الصور المثبتة على الجدران ،
والتي مات أصحابها ، وما زالوا موضع حديثهما ومحور تفكيرهما
كأى حي كائن على ظهر هذه الأرض .

— لم أعد أطيق ذلك يا جرتروود . وسأتحدث في الأمر مع ج .
وسأخبره بأنني أشعر بالحاجة الى تنسم جو الحياة في بلادى .
وانى على يقين بأنه سيدرك ما أعنيه . ان كل ما أتساءل عنه بعد
ذلك ، كيف سيجد الشجاعة ليخبر أمه . . .

وأخيرا سأله ميجرية : هل هناك من مزيد ؟ .

— سبع صفحات أخرى .

— أذن فلتواصل عملك . ساعدوك اليك .

وفي طريق خروجه من غرفة مكتبه ، رأى السيدة ميجرية
جالسة في غرفة الانتظار . وما أن وقع نظرها عليه ، حتى همت
بالقيام ، ولكنه تجاهل ذلك ، وواصل سيره في المشى دون أن
يتوقف ، الى أن هبط من الدرج في طريقه الى الخارج .
وعندما استقر بالسيارة التي استقلها قال للسائق : « شارع
بجاي . . لوساك ! سأخبرك اين تقف .

وكانت الأشجار الباسقة في حدائق اللوكسمبرج ، تتمايل مع
النسيم مزهوة بأغصانها . ورأى الناس يروحون ويفدون بملابسهم
الزاهية الالوان ، وقد ملئت الطرقات بالأطفال يلهون ويعبثون ،
وشغلت جميع المقاعد بكل من لم يضطرب فيما يضطرب الناس
أقيه من جد الحياة . وشعر بنشاطه يتجدد ، بعد أن ترك هذا
الجو القائم في مكتبه ، الى الحياة بكل ما فيها من حركة وبهجة .
وعندما أشار للسائق بالتوقف عند المبنى الذي يقصده ، سأل
هن المحامي أورين ، وعلم انه ملازم شقته منذ أكثر من شهور

وبمجرد أن سمع ميجريه ذلك ، تذكر كل شيء عنه . انه على الأرجح ، من أقدم المحامين في باريس . ان كبير المفتشين لا يعرف شيئاً عن حقيقة سن هذا المحامي ، ولكنه يعرف انه مذ سمع عنه ، سمع عنه كرجل متقدم في السن ، نصف عليل ، لم يمنعه ذلك من مداومة الابتسام والظهور بمظهر الرجل المرح الممتلىء بالحياة .

وكان يعيش مع مدبرة منزل تكاد تقاربه سناً ، في شقته التي بعثرت فيها الكتب والمطبوعات ، بكل مكان منها في غير نظام .

ووجد أورين جالسا على مقعد كبير في مواجهة النافذة ، وما ان رآه داخلا حتى ابتدره قائلاً :

- مرحبا ! ماذا هناك؟ أي ربيع طيبة حملتك الى ؟ انها لمفاجأة سارة حقا ! لقد بدأت أعتقد ان الناس قد نسيتني او حسبوا انني أرقد هناك في بير - لاشيز الى الأبد . ماذا عندك في هذه المرة ؟

وهكذا لم يحاول الرجل ان يخدع نفسه ، او يخدع زائره ، مما سبب بعض الحرج لميجريه ، الذي كان يعلم في قرارة نفسه ان ماسمه كان حقا ، وأنه لم يكن ليفكر في زيارة هذا الرجل الا اذا شعر بحاجته اليه .

- لقد كنت أتساءل ، وأنا أستمع لعتابك ، عما اذا كان قد تصادف انك التقيت برجل يدعى سيرييه ، توفي منذ أكثر من ثلاثين عاما .

- الين سيريه ؟
- لقد كان محامياً .
- انه هو الين .
- أي طراز من الرجال كان هذا الرجل ؟
- أليس لي أن أسأل عن السر في كل ذلك ؟
- ان للامر علاقة بابنه .
- لم يسبق لي أن رأيت هذا الابن . كنت أعلم ان له ولداً ؟
- ولكن لم يسبق لي أن التقيت به . اننا ننتمي ، الين وأنا ، الى

عالم مرح منطلق ، لم تكن الحياة العائلية بالنسبة اليه هي كل شيء ، ولم تكن الحياة لتبدأ عنده وتنتهى حول مدفأة الأسرة . لقد كان مكاننا في النادي ، أو بين الكواليس في مسارح الاستعراض ، حيث كنا نحفظ أسماء الفتيات عن ظهر قلب .

ثم أضفنا قائلا في حسرة :
- آه لو رأيت ما رأينا !
- ألم نقدمك الى زوجته ؟

- اعتقد ذلك . ألا تقيم في نوبلي ؟ لقد اعتزل الين جماعتنا سنين عديدة . ولم يكن هو وحده الذي فعل ذلك . فلقد حدا حدوه الكثيرون بمجرد زواجهم . ولم أتوقع أن يعود الينا . وفجأة ، وبعد فترة طويلة
- وما هو مدى هذه الفترة ؟

- لا أذكر على وجه التحديد . بضع سنين . دعنا نرى ذلك معا . كنا قد انتقلنا بنادينا من ضاحية سانت أونوريه الى شارع هوش . عشر سنوات ؟ أكثر قليلا ؟ فليكن . ثم عاد الى زمرةنا مرة أخرى . وكان سلوكه في أول الامر غريبا ، وكأنه كان يشعر بأننا نضيق به لانقطاعه عنا .
- وبعد ؟

- لاشيء . لقد عاد سيرته الأولى أو أكثر قليلا . دعنا نرى مرة أخرى . ثم اختفى مع إحدى الفتيات وكانت هذه الفتاة تمارس الفناء ويطلقون عليها اسما لم أعد أذكره .
- وهل كان من عادته أن يتعاطى الخمر ؟
- لم يكن بأكثر من غيره . القليل من الشسبانيا من وقت لآخر ...

- وماذا كان مصيره ؟
- مصيرنا جميعا . الموت
- وهل هذا هو كل ما عندك ؟
- إذا أردت أن تعرف ما كان من أمره بعد ذلك ، فما عليك الا

أن تسأل السماء . ان ذلك من اختصاص سائت بيتر وليس من
اختصاصى . ماذا اقترب ولده ؟
- لست متأكدا من شيء معين حتى الآن . كل ما عرفه أن
زوجته اختفت .

- أو فتاة لعوب ؟
- بالعكس . انها على النقيض من ذلك .

واضطر ميجرية أن يبقى ربع ساعة بعد ذلك بناء على الحاح
الاستاذ الكبير ، ليطلعه على صورة لفتاة ألين سيريه ، رسمها لها
احد الفنانين الهواة ، وهى ترقص .

.. اعد الكرة يا عزيزى ميجرية . كنت أرجو أن يسمح وقتك
بالتخلف لتتناول معى عشائى المتواضع . . .

ورأى ميجرية فى ركن الغرفة ، زجاجة فييد تدعو من يلمحها
ووصلت الى انفه وهو فى طريقه الى الخارج رائحة الشواء المفري .

لم توفق شرطة روان ، كما لم توفق شرطة الهافر ، فى العثور
على أى اثر لفريدى الحزين . الأمر الذى يحتمل معه أن لص
الخزائن لم يعد موجودا فى هذه المدينة . ترى ، هل قفل راجعنا
الى باريس ؟ وهل قرأ نشرة ارنستين ؟

ثم عهد ميجرية الى احد رجال المباحث بمهمة على شاطئ
النهر .

- من اين أبدا ؟

- من أقصى مكان تستطيع مع مجرى النهر .
ووأى بعد ذلك أن يتصل بزوجه ليخطر بها بأنه سيتأخر عن
موعد العشاء .

- اوتظن أنك ستتمكن من العودة للمنزل الليلة ؟

- يحتمل أننى لن أستطيع ذلك فعلا .

انه لم يكن يأمل فى الكثير . ولكنه كان يدرك أيضا أنه تحمل
مسئولية كبرى بالاندفاع وعدم التروى فى الأمر . . . وذلك باحضار
زجيلوم سيريه الى ادارة الأمن العام دون أن يقوم أى دليل ضده .

والآن سبق السيِّف العزل ، ولم يعد في مقدوره أن يتراجع
ويطلق سراحه .

ومر بحالة من الابتساسة ، وغالبه النعاس . فترك غرفة ،
بمكتبه هابطا الى شرفة حلوانى دوفين . وبعد أن استعرض قائمة
الطعام ، انتهى به الأمر الى طلب بعض الشطائر وقدحا من البيرة ،
لأنه لم يشعر أن به رغبة في الطعام .

وعاد ليرتقى في درج الإدارة في خطوات وثيدة . وعندما وصل
الى الطابق الثانى ، ألقى بنظرة على غرفة الانتظار من الخارج ،
حيث وقع بصره أول ما وقع على قبعة خضراء ، كان قد أصبح
وهو في حالته هذه ، يرى فيها عبئا ثقيلا على أعصابه . . . لقد
كانت صساحبة القبعة هى ارنستين ، تجلس في مقعد مقابل
لمقعد السيدة سيريه ، وقد اتخذت لنفسها ، ما تتخذه السيدة ،
من سمات العزم والجلد . وما أن رآته ، حتى عمدت أن تلتقى
عينها بعينه ، وتحييه بانحناء طفيفة .

وفهم أنها قصدت بذلك ان يتجاهلها . لأنها عمدت بعد ذلك
مباشرة ، الى مواصلة حديثها مع السيدة سيريه ، بشكل ظهر منه
أن الكلفة كانت قد رفعت بينهما فعلا .

فلم يعن بكثير او قليل من ذلك ، ودفع باب الغرفة المجاورة
لفرفته ودخل فوجد كاتب الاختزال مجدا في عمله . ووصل الى
سمعه صوت جانفبيه المجهد ، مع وقع خطواته التى يذرع بها
الغرفة المجاورة في غدو ورواح .

- بناء على ماقررت ، يامسيو سيريه ، نفهم ان زوجتك ذهبت
لتبحث عن سيارة أجرة عند ناصية شارع ريتشارد والاس . فما
هو الوقت الذى استغرقه هذا ؟

- وقبل أن يخلو جانفبيه من مهمته هذه ، راي ميجرية ان
يقابل مويرزالزى .

وجده منكبا على بعض المستندات لاستيفائها .
... ألم تجد بالسيارة أية آثار أخرى بخلاف ما سبق أن
حدثنى عنه ؟

- لم أجد مطلقاً . لقد قاموا بتنظيف السيارة تنظيفاً كاملاً .
- أوافق أنت من ذلك ؟
- كل الثقة .
- إذا فرضنا أن السيارة لم يتولَّ أحد تنظيفها ، وأن السائق أتجه بها الى طريق ريفي .
- طريق مغطى بالأسفلت ؟
- لا أريد أن أقول ، فلنفرض أنه تركها هو ومن كان معه ،
- وأنهما سارا معا في طريق آخر فرعي ، ثم عادا واستقلا السيارة مرة أخرى .
- ولم يبق أحد بتنظيفها بعد ذلك ؟
- نعم .
- كان يجب ان أعتري على مايدل على ذلك ، مهما كان قليلاً .
- هذا كل ما أردت أن أستفسر عنه . أرجو ألا تفادر المبني .
- فليكن . وبالمناسبة ، لقد عثرت على بعض الشعيرات في
- غرفة المرأة المختفية . واتضح من الفحص أنها كانت شقراء ، وأنها
- كانت تصبغ شعرها باللون الأحمر . ولقد وصلت أيضا الى معرفة
- المساحيق التي كانت تستعملها .
- وقفل كبير المفتشين راجعا الى غرفة مكتبه . ووجد أن
- سحب الدخان تملأ جو الغرفة . لقد كانوا جميعا يدخنون . هو
- يدخن غليونه وجانفييه سجائره وسيريه سيجاره الكبير .
- ألا تشعر بالظما يامسيو سيريه ؟
- لقد قدم لي رجلكم كوبا من الماء .
- وهنا أنصرف جانفييه .
- أماكنت تفضل قدحا من البيرة ؟ أو كأسا من النبيذ ؟
- وبنفس النظرة التي داب على توجيهها الى ميچريه قال له ،
- شكرا على كل حال .
- ساندويتش ؟
- أو سيطول بي المقام هنا ؟

- لست أدري . يحتمل ذلك . أن الأمر مشترك لك .
ثم قام الى الغرفة المجاورة ، وسأل رجال المباحث أن يحضروا
له خريطة لحى فونتنبلو .
كان يطيل في الاجراءات ، ليكسب الوقت . ان كل هذا الذى
يدور ، ماهو الا قشور ، لاتمس من الموضوع الا السطح .
- عندما تذهب لتناول طعامك يا جانفويه ، ابعث لنا ببعض
الشطائر والجمعة .
- مفهوم ياسيدى. الرئيس .
وهنا دخل احد رجال المباحث ، وسلمه الخريطة التى طلبها .
- ارنى فى أى مكان توقفت بسيارتك يوم الاحد .
وبعد ان تأمل سيريه الخريطة بعض الوقت ، تناول قلما واشربه
على نقطة يلتقى فيها الطريق الرئيسى بأخر قرهى .
- فاذا ما وجدتم مزرعة يعلوها سقف أحمر اللون على اليسار
إكان هذا هو الطريق الذى سرنا فيه .
- كم من الوقت قضيتما فى سيركما ؟
- حوالى ربع الساعة .
- هل كنت تنتعل نفس الحذاء ؟ قال ذلك وهو يشير الى
حذاء سيريه ، الذى تردد قليلا قبل أن يجيب ثم نظر الى حذائه
وأخيرا أوما برأسه موافقا .
- أوائق أنت من ذلك ؟
- كل الثقة .
- ألا ترى يامسيو سيريه ، انه أولى بك ثم أولى أن تقول
الصدق ؟ متى قتلت زوجتك ؟
- أنا لم أقتل زوجتى .
وزفر ميجره زفرة حارة . ولم يجد بدا من القيام الى
الغرفة المجاورة لاصدار أوامر جديدة . ان الأمر ، كما يبدو ،
سيستغرق ساعات أخرى طوال . ولاحظ ان ملامح الاجهاد قد
بدأت تظهر على الطبيب ، وأن هذه الساعات الطوال التى قضاها
فى الاستجواب ، قد بدأت تنال منه ، وبدأت ترسم حول عينيه
خطوطا سوداء .

- لماذا تزوجت منها ؟
- هذا ما أشارت والدتي به على .
- وما هو السبب في تحمسها لذلك ؟
- خشية ذلك اليوم الذي قد اترك فيه وحيدا ، انها لم تزول
- ترانى طفلا في أمس الحاجة لأن يرعاني أحد ما .
- ولكي يحول بينك وبين ادمان الخمر ؟
- ولم يكن هناك من سبيل للتعقيب على هذا السؤال .
- أظن أن زواجك بما ريفان ايرتز لم يكن عن حب متبادل
- بينكما .
- ان كلا منا قد قارب الخمسين .
- متى بدأ الخلاف يدب بينكما ؟
- لم يكن بيننا خلاف ما .
- كيف كنت تمضي سهراتك يامسيو سميريه ؟
- أنا ؟
- نعم . أنت .
- كنت أقضي معظم وقتي في القراءة بغرفة مكثبي .
- وزوجتك ؟
- تحرر الرسائل في حجرتها . وكان من عاداتها أن تأوى الى
- فراشها في ساعة مبكرة .
- هل بدد والدك كثيرا من ثروته ؟
- لست أفهم ما تعنى .
- ألم تسمع أن والدك كان يعيش أيامه بالعرض كما يقولون ؟
- نعم .
- هل أنفق مبالغ كبيرة ؟
- أعتقد ذلك .
- وهل كانت والدتك تشور لذلك ؟
- لسنا من هذا الطراز من الناس .
- ما هو مقدار ما عاد عليك من زواجك الأول ؟
- أرى أننا لا نتكلم بنفس اللغة .

- لقد تزوجت من زوجتك الأولى فى ظل قانون اختلال
الذمة ؟

- صحيح .

- وكانت تملك مالا . ويستتبع هذا أنك كنت وريثها .

- هذا أمر طبيعى . أم أنك ترى غير ذلك ؟

- وطالما لم يعثر على جثة زوجتك الثانية ، فانك لن تستطيع

أن ترثها .

- ولماذا تستبعد العثور عليها حية ترزق ؟

- هل تعتقد ذلك ، يا مسيو سپريه ؟

- لأننى لم أقتلها .

- لماذا خرجت بسيارتك يوم الثلاثاء ليلا ؟

- لم يحدث ذلك .

- لقد شهدت حارسه المبنى المواجهة للجراج بأنها رأتك

تخرج بسيارتك حوالى منتصف الليل .

- لقد نسيت أن هناك ثلاثة أبواب متقاربة . وكان الظلام

مخيما كما تقول . فماذا يمنع من أن يكون الأمر قد اختلط عليها ؟

- وهل يكون الأمر قد اختلط على البائع فى مخزن الأدوات

المنزلية ، عندما شهد بأنه رآك فى وضوح النهار ، يوم توجهت لشراء
لوح الزجاج والمعجون ثانى مرة ؟ .

- ان ما أقوله لا يقل صحة عما يقوله هو .

- فلنسلم بأنك لم تقتل زوجتك . ترى ماذا فعلت بالصندوق

والحقائب ؟

- ثالث مرة يوجه لى هذا السؤال . ولكنك نسيت أن تضمينه

معدات اللص هذه المرة .

- أين كنت يوم الثلاثاء ليلا ؟ حوالى منتصف الليل على وجه

التحديد ؟

- فى الفراش .

- ألم يصل الى سمعك ، أنت أو والدتك ، صوت ما ؟

- أظن اننى قد أخبرتك بذلك من قبل .

- وهل لم تلاحظ شيئا غير عادى بالمنزل صباح الأربعاء ؟

- من حقاك أن توجه لي أي سؤال ، ما دمت قد بدأت جمع
أحريائك في هذا الموضوع . ولكنني أرى أنك تنتهج معي نهجا تريد
به أن تختبر قوة احتمالي ؟ لقد وجهتم لي هذه الأسئلة غير مرة أنت
ورجالك . والآن تعود لتبدأ الأمر معي مرة أخرى . وأرى أنك
ستواصل ذلك معي طوال الليل . وحتى لاتضيع وقتك فيما لا جدوى
منه ، فقد آن الأوان لأن أؤكد لك آخر مرة أنني لم أقتل زوجتي .
وأضيف الى ذلك أنني لن أجيب عن أي سؤال سبق أن وجه الى
هل يمكن أن أعرف ما اذا كانت والدتي موجودة هنا ؟

- وما الذي دعاك لأن تظن ذلك ؟

- وهل في هذا ما يشير دهشتك ؟

- انها موجودة بغرفة الانتظار .

- أو ستتركها تمضي ليها هنا ؟

- اذا أرادت هي أن تغادر الادارة ، فلن أحاول من ناحيتي أن
أمنعها . ان لها مطلق الحرية في ذلك .

وكانت نظرة جيلوم سيريه في هذه المرة ، تفيض بغضا
وكراهية .

- ما كنت أحب لنفسى أن أقوم بعمل مثل عملك .

- وأنا بدورى ، ما كنت أرضى لنفسى بأن أقف موقفك .

وظل كل منهما يحدق في وجه الآخر بعينين ثابتتين ، في
أصرار وعزم وتحد . وأخيرا قال له ميجريه :

- لقد قتلت زوجتك يا سيريه كما قتلت زوجتك الأولى على
الأرجح ؟

ولم يتحرك سيريه أو تختلج في وجهه خالجة .

- وستعترف بذلك .

ولم يفعل الطبيب أكثر من أن يزم شفتيه احتقارا . ثم اعتدل
في جلسته ووضع ساقا على ساق .

- لست أمانع في تناول شيء من الطعام .

- هل تحب أن تخلع معطفك ؟

- لا .

وجاءوا له بشطيرة بدأ يأكلها في بظء شديد على حين ذهب
ميجريه ليحضر له كوبا من الماء بنفسه . وكانت الساعة حينئذ قد
بلغت الثامنة مساء ، حيث بدأ الظلام يسدل ستاره لتظهر معه النجوم
متناثرة في صفحة السماء .

ونفذ ما لدى ميجريه من تبغ ، وأرسل في شراء كمية أخرى .
وما أن أقيمت الساعة الحادية عشرة مساء ، حتى كان الطبيب يدخن
آخر سيجار تبقى معه . وامتلا جو الغرفة بالدخان وازداد ثقلا .
وخرج كبير المفتشين من الغرفة مرتين ليجول في المبنى . ورأى
المرأتين في جولته الثانية ، وقد اقتربت كل منهما بمقعدها من
الأخرى وقد استفرقتا في حديث طويل ، وكأنهما قد تعارفتا من
سنتين . . .

- ومتى كانت آخر مرة قمت فيها بتنظيف سيارتك ؟
- كان ذلك منذ أسبوعين ، في جارج بنويلي ، حيث قاموا
بتغيير الزيت .
- ألم تتول تنظيفها مرة أخرى بعد ذلك . بعد يوم الأحد
مثلا ؟

- لم يحصل .
- اذن فلتعلم أننا قمنا بتجربة دقيقة . فقد كلفت أحد رجالنا
أن ينتعل حذاء يشبه حذاءك . ثم استقل إحدى السيارات الى المكان
الذي عينته لنا في طريق فونتنبلو . وكما سبق أن قررت لنا أنك
ومعك والدتك قد تركتما السيارة وخطوتما الى الطريق الريفي حيث
سرتما به قليلا . وهذا الطريق لا يغطيه الأسفلت . ترك هذا الرجل
السيارة وحذا حذوكما ، ثم قفل راجعا بالسيارة الى هنا .
وقام الخبراء المختصون بفحص دواسة السيارة . وهاهو ذا
ما قاموا بجمعه مما علق بها من أتربة وآثار .

ودفع اليه بمظروف صغير ، لم يتحرك سيريه ليتناوله منه .
- وكان من المفروض أن نجد مثل هذه الآثار بسيارتك .
- وهل في ذلك دليل على أنني قتلت زوجتي ؟
- انه أكبر دليل على أن السيارة قد نظفت بعد يوم الأحد .
- أو لم يكن في استطاعة أحد أن يدخل الجارج في فياى ؟

- أستبعد ذلك ؟

- وكيف ؟ ألم يدخل رجالك الى الجراج ؟
- ماذا ترمى بقولك هذا ؟

- لا شيء يا سيدى المفتش . اننى لا أتهم أحدا . فقد أردت
بذلك أن أضع النقط فوق الحروف ، وأن أبين لك أن دخول رجالك
الى الجراج لم يكن اجراء قانونيا سليما .
- هل تحب أن تتصل بوالدتك ؟

- لعلك تحب أن تعرف ما يدور بيننا من حديث ؟ اطمئن
يا مسيو ميجرية . ليس عندي ما أقوله لها ، وليس لديها ما
تقوله لى .

وفجأة سأل المفتش :

- ألم تتناول شيئا تمسك به رمقها ؟
- لا أعرف . وكل ما أعرفه أنها حرة تفعل ما تشاء .
- انها لن تغادر المبنى ما دمت موجودا به .
- قد يعنى ذلك أنها ستبقى فترة طويلة .

فأطرق سيريه قليلا ، وتغيرت حالته تغيرا شاملا . وبعد فترة
أتردد . قال متمتما فى استحياء :

- لعلنى لا أثقل عليك اذا ما سألتك أن تأمر بتفديم شطيرة
لها ؟

- لقد أمرت بذلك فعلا .

- وهل أكلت ما قدم لها ؟

- نعم .

- وكيف حالها ؟

- انها تقضى وقتها فى حديث مستمر .

- مع من ؟

- مع شخص تصادف وجوده فى غرفة الانتظار . فتاة من
فتيات الشوارع .

ومرة اخرى تشع نظرات المحقد من عيني الطبيب .

- وذلك بناء على ترتيب منك ؟

- لم يكن لى يد قى ذلك على الاطلاق •
- ليس لدى والدتى ما تقول •
- وفى ذلك الخير كل الخير لك •
- ثم ران عليهما صمت استمر ربع الساعة • وبعدها قام ميجريه الى الغرفة المجاورة، وهو أشد عبوسا من أى وقت مضى ، وأشار الى بجانبه الذى كان جالسا فى ركن من الغرفة يغالب النعاس •
- نفس الروتين يا سيدى الرئيس ؟
- افعل ما بدا لك •
- ورأى كاتب الاختزال وقد بدا عليه الاجهاد • كما وجد القائم بالترجمة لم يزل مكبا على عمله •
- اذهب وجئنى بارنستين الى غرفة لوفاس • هى التى تضع على رأسها قبعة خضراء •
- فلما أقبلت لوفتى ، لاحظ انها منقبضة النفس •
- ما كان ينبغى لك أن تقتحمى علينا المكان • فقد يثير هذا شكوك المرأة العجوز •
- ولم يكن ميجريه متزمنا معها فى الحديث •
- ترى ماذا قلت لها ؟
- كيف لا أعلم ماذا أتى بى الى هنا ! وكيف يختفى زوجى منذ يومين ولا أعلم عن مصيره شيئا ! لشد ما أكره الشرطة ورجال الشرطة والأعيب رجال الشرطة وأساليبهم الملتوية ! قلت لها يا سيدى المفتش :
- انهم يحتجزوننى هنا ، أملا منهم فى الضغط على أعصابى ! انهم يتصورون أنهم قد يستطيعون أن يحلوا عقدة لسانى •
- وماذا قالت لك ردا على هذا ؟
- سألتنى عما اذا كنت قد دخلت هذا المكان من قبل • فأجبتها بأننى دخلته وأمضيت فيه ليلة بطولها منذ عام مضى ، بسبب حادث وقع لزوجى فى أحد المقاهى ، وأرادوا أن يستغلوه فى اتهامه ، بأنه طعن شخصا ما بسكين • وما أن سمعت ذلك حتى أظهرت اشمزازها • من هذا التصرف وبدأت بعد ذلك توجه أسئلتها واحدا بعد آخر •

= وعن أى موضوع كانت تدور هذه الأسئلة ؟
- تكاد تكون كلها عنك • وكانت ردودى بأسوأ ما يمكن أن
تتصور • وراعت بصفة خاصة أن أضيف الى ما أجبت به ، أنك
كنت تعمل دائما على ارغام من يقعون بين يديك على الكلام ، بكل
ما تستطيع من قسوة وقوة •
- ماذا قلت ؟

- انى أعرف تماما ماذا فعلت • بل لقد أخبرتها بما قمت به
فى وقت من الأوقات ، من تجريدك لشخص ما من ملابسه ، وتركه
فى غرفة مكتبك مدى يوم بنهاره وليلة فى منتصف فصل
الشتاء ، وأنك حرصت على أن تترك النافذة مفتوحة على مصراعها •
- ان شيئا من هذا لم يحدث •
- لقد أقامها هذا وأقعدها • وأصبحت أقل ثقة بنفسها ، مما
كانت قبل حضورى • وكانت تصفى لما أقول طوال الوقت •
- وهل من عادته استعمال القسوة مع الناس؟ بهذا سألتنى •
- ان ذلك معروف للجميع •
- أو تحب أن أعود الى حديثى معها ؟
- اذا كنت تريد ذلك •
- من الأفضل أن يصحبنى أحد رجالك الى غرفة الانتظار •
وليتظاهر باستعمال القسوة معى •
- ألم تصلك أنباء بعد من ألفريد ؟
- وأنت ألم يصلك شىء ما ؟
ونفذ ميجرية ما أشارت به عليه • وبعد قليل عاد رجل
المباحث وقد افتر ثغره عن ابتسامة عريضة •
- ماذا حدث ؟

- شىء طريف ا عندما كنت فى طريقى داخل غرفة الانتظار
ومررت بالقرب من السيدة العجوز رفعت ذراعها تقى به وجهها
لخشية أن أصفعها • وما كدت أغانر الغرفة حتى انفجرت لوفتى
باكية •
واتصلت زوجة ميجرية به ، لتستفسر منه عما اذا كان قد
تناول شيئا من الطعام •

هل انتظرك ؟

- لا . بكل تأكيد .

والم به صداد شديد . وكان برما بنقسه وبكل من هم حوله غير مرتاح لكل ما فعله ويفعله ، قلقا ضيق الصدر . وراح يتساءل فيما بينه وبين نفسه ، عما يفعل لو اتصلت بهم ماريا فان يرتز فجأة ، لتعلن انها عدلت عن خطتها ، وانها رأت ان تستقر في بلد ما .

وراي ان يتناول قدحا من البيرة اعقبه بغيره . ثم عاد الى غرفة مكتبه ، حيث وجد جانفييه قد فتح النافذة .

ثم جلس الى مكتبه في استرخاء . وبعد ان انصرف جانفييه قال الطبيب متفكها :

- ان والدتك مقتنعة باننى امارس معك اساليب العنف . ففوجيء بالآخر يرفع رأسه ، وقد ارتسمت على وجهه ملامح القلق وهو يقول محتدا :

- ترى ماذا قلتم لها ؟ .

- لا شيء من ناحيتنا . يحتمل ان تكون تلك الفتاة التى تجلس معها هى التى حدثتها بشيء من هذا القبيل . اننى اعرف هذا الطراز من الناس ، الذى يجب ان يخلق الاكاذيب ليجعل من نفسه شخصية مهمة .

- او يمكن ان اقابلها ؟ .

- من ؟ .

- والدتى .

وتظاهر ميجريه بالتردد قبل ان يحزم أمره . واخيرا قال ا بلهجة قاطعة :

- لا . لاننى سأتولى بنفسى استجوابها . كما كان من الواجب ان أمر بحضور أوجينى أيضا .

- ان والدتى لا تعرف شيئا .

- وأنت ؟ .

- ولا انا .

- - اذن لماذا لا استجوبها كما استجوبتك ؟
- - الا يعرف قلبك الرحمة يا سيدى المفتش ؟
- - لمن ؟
- - لامرأة طاعنة في السن .
- - كانت ماريا اولى بهذه الرحمة .
- وبدأ يلدغ الغرفة في خطوات متتدة ، وقد وضع يديه خلف ظهره ، كمن يترقب شيئاً ، ولما لم يتحقق له ذلك قال :
- - دورك يا جانففيه ! اننى ذاهب لالقى الام .
- وفى الحق انه لم يكن ليدرى ماذا هو فاعل . وقد صرح جانففيه فيما بعد ، انه لم يسبق له ان رأى رئيسه فى هذه الحالة من الاجهاد وسوء الخلق التى رآه بها فى هذه الليلة .
- وعند ما بلغت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، كان كل من بالادارة قد فقد الثقة بكل شىء . وكان الجميع يتبادلون نظرات الأسى فى غفلة من كبير المفتشين .

الفصل الثامن

- كان ميجرية فى طريقه من غرفة التحقيق الى حيث يباشر المترجم عمله ، عندما اقبل عليه احد عمال النظافة قائلاً :
- - هناك سيدة تطلب ان تراك .
- - اين هى ؟
- - انها احدى السيدتين اللتين كانتا بغرفة الانتظار . ولقد لاحظت انها متعبة ، عندما جاءت الى الغرفة التى كنت اقوم بتنظيفها ، شاحبة الوجه تسألنى ان ابحث عنك . فسأله ميجرية مقتباً :
- - السيدة المسنة ؟
- - لا . الفتاة .
- وكانت معظم الابواب التى بالمشى مفتوحة . وفى احدى الغرف ، رأى كبير المفتشين ارنستين تطبق باحدى يديها على صدرها . فاسرع بخطاه اليها وهو يهم بسؤالها عما بها . وما أن اقترب منها ، حتى قالت هامسة :

— أغلق الباب .

— وما ان قام بذلك حتى بأدائه قائلة :

— اننى لم أستطع ان أقاوم أكثر من ذلك . وفى الحق ، اننى على ما يرام . لقد تظاهرت بذلك حتى أستطيع ان أتركها قليلا .
الا يمكن ان أجد قليلا من الخمر هنا ؟ .

واضطر ان يعود الى غرفة مكتبه ليأتى بزجاجة كونيالك كان يحتفظ بها فى درج مكتبه . وعاد اليها بالزجاجة وصب منها ملء كوب صغير ألقته بمحتوياته فى جوفها دفعة واحدة ، اهتز لها جسمها كله .

— كيف أتيت لك ان تطيق الابن ؟ لقد كادت الام ان تفقدنى صوابى ! .

— وهل وصلت معها الى شيء ؟ .

— انها أوسع منى باعاً ! وهذا ما أردت ان أخبرك به . فقد بدأت معها أول ما بدأت بأن أقمها الحجر الذى أعدته لها ، وكدت أقتنع بأنها قد ابتلعتة دون ان تدري واننى بلغت ما أريده منها .

— وفجأة ، ودون ان أدري كيف حدث ذلك ، وجدت انها هى التى توجه الاسئلة فى كل ناحية ، فى صيغة بسيطة وثوبى برىء . لقد تعرضت فى حياتى لأشد أنواع الاستجواب وأقساه ، حتى خيل الى اننى لن ترهقنى بعد ذلك أكثر الاسئلة حرجاً .

— وقد انهار كل ذلك أمام جبروتها ، مما لم يترك لى مجالاً لآى شيء .

— وهل عرفت من أنت ؟ .

— لم يكن ذلك بصفة مباشرة . ان هذه المرأة بارعة كل البراعة يا مسيو ميجرية . فكيف عرفت اننى من فتيات الشوارع ؟ .
قل لى بصراحة ، هل مازلت أبدو كذلك ؟ .

ثم وجدتها تقول لى :

— انك لست قريبة عن هؤلاء القوم ، اليس كذلك ؟ .

— وكانت تعنيكم بذلك .

- وانتهى بها الامر الى ان تستفسر متى عن حياة السجون ؟
ووجدتني اشرح لها ذلك دون ان ادري .
- لو قلت لى فى بادىء الامر ، انها ستكسب الجولة فى النهاية ،
لما صدقتك .

- وهل اخبرتها بشيء عن الفريد ؟

- الى حد ما . دون ان اكشف لها عن حقيقة عمله ، الذى
لم يكن ليعنيها فى كثير او قليل . ان ما كان يعنيها هى ان تعرف
كل شيء عن حياة السجون . وقد استغرقت أسئلتها من الوقت
اكثر من ثلاثة ارباع الساعة : متى تستيقظون ، ماذا تاكلون ، كيف
يعاملكم الحراس واعتقدت انه قد يعينك ان تعرف كل
ذلك ، فتظاهرت بالحالة التى رأيتنى عليها . وحملت عليك وقلت
انه ليس من الانسانية فى شيء ، ان تترك النساء هكذا طوال
الليل . . .

- او تسمح بجرعة اخرى ؟

ولاحظ انها وان كانت قد ادعت المرض ، الا انها كانت مجهدة
فعلا . كما لاحظ ان الكونياك قد افادها واعاد الدم الى وجهها .

- ألم يتكلم ابنتها بعد ؟

- لم يتكلم بعد .

- ألم تتحدث بشيء عن ابنتها ؟

- كانت تفتح اذنيها لكل صوت ، وترعجها كل حركة . وكان
من بين ما ارادت ان تعرفه ، ما اذا كنت قد قابلت احد المحكوم
عليهم بالاعدام . كانت تريد ان تحيط بكل شيء عن هذه الناحية
ساعود اليها ، لانى اشعر باننى احسن حالا . لا تقلق ، فساحرص
هذه المرة على الا يفلت منى زمام امرى .

وانتهزت هذه الفرصة لتصلح من هندامها وتضيف بعض
المساحيق الى وجهها . ثم نظرت الى الزجاجاة دون ان تجرؤ على
طلب جرعة ثالثة .

- هل تجاوزنا منتصف الليل بكثير ؟

- انها الثالثة صباحا .

- انى لأعجب ، كيف تسنى لهذه المرأة الطاعنة فى السن أن تتحمل كل ذلك ، فما استطاع التعب ان ينال منها شيئا . وها هى ذى تجلس فى آخر الليل كما كانت تجلس فى أوله ، منتصبه القامة لا يبدو عليها شيء من الارهاق .

وتركها ميجرية تنصرف . ثم قام الى نافذة مظلة على الساحة ، ليستنشق بعض الهواء النقى ، بعد أن شرب ملء فمه من زجاجة الكونياك التى كانت فى يده . وفى طريق عودته ، عرج على الغرفة التى يزاول المترجم فيها عمله ، حيث أطلعته هذا على فقرة باحدى الرسائل قائلا :

- ان تاريخ هذه الرسالة يرجع الى عام ونصف مضى .
كتبت ماريا لصديقتها تقول :

- حدث بالامس ما اثار ضحكى . فقد حضر ج الى غرفتى ، ليحدثنى بشأن ما اقترحته قبل ذلك بيوم عن السفر الى نيس لقضاء يومين بها .

- ان هؤلاء القوم ترعبهم فكرة السفر . ولم يسبق لهم ان رحلوا من فرنسا الا مرة واحدة فى هذا العمر الطويل . وكان ذلك فى حياة والده الذى اصطحبهم معه الى لندن . وتصادف انهم جميعا اصابوا بدوار البحر ، مما اضطرهم لاستدعاء طبيب السفينة ليعودهم .

- الا انه لا علاقة بين هذا وبين ما نحن بصدده ، وما كنت اريد أن أسرده عليك .

- فكل ما اتحدث به ولا يروقهما ، يلزمان حباله جانب الصمت . وكل ما يفعلانه ، أنهما يتوقفان عن الكلام ، ونمر جميعا بفترة من السكون الذى يخيم علينا .

- ثم حضر ج الى غرفتى كما قلت لك ، مهموما مبتثسا ، وبدأ يحوم حول الغابة كما يقولون ، ثم دخل فى الموضوع أخيرا وكشف لى عن خبيثة نفسه . واثضح لى مما قاله ان فكرة السفر الى نيس لحضور الكرنفال لم تكن فكرة موفقة مقبولة . بل لقد صرح

لى بان والدته صدمت لجرّد سماعها لاقتراحى هذا ، وتضرع الى
أن أقلع عن هذه الفكرة .

- فليكن ، لا علينا من ذلك . فقد تصادف أن كان درج منضدة
فراشى مفتوحا . فألقى عليه نظرة عابرة ، شحّب لها وجهه على
اثرها . ثم ابتدوني سائلا ، وهو يشير الى مسدس صغير كنت
قد اشتريته فى اثناء رحلتى الى مصر ، ما هذا ؟ .

- ولعلك تذكرين اننى سبق ان كتبت لك عن ذلك فى حينه ؟
وقلت لك ان بعضهم أشار على بذلك ، لأنه يحسن بامرأة تسافر
بمفردها فى بلاد اجنبية ، أن تتزود بشيء من هذا القبيل .

- ولست أدري لماذا وضعت فى هذا الدرج بالذات . فأجبته
بكل هدوء :

- مسدس .
- وهل به ذخيرة ؟ .
- لا اعرف .
- ثم أمسكت به ، وفحصت الخزانة ، ولم أجد بها ذخيرة .
- هل لديك ذخيرة ؟ .
- طبعا .

- وبعد نصف ساعة ، انتحلت والدته عذرا لتدخل فرقتى ؟
أكعادتها دائما عندما تريد أن تدخل فرقتى منتحلة أعذارا . وفعلت
ما فعله ابنها فى أول الامر من عدم الدخول فى الموضوع مباشرة .
ثم صارحتنى برأيها عن حمل المرأة للسلاح وعدم مناسبة ذلك
لها . فقلت لها :

- انه ليس بأكثر من صورة ، احتفظ بها كتذكار . علاوة على
انه مرصع بالجواهر ومنقوشة عليه الحروف الأولى من اسمى .
ولست أرى فيه غير حلقة جميلة لا ضرر منها على أحد .

- واقتنعت أخيرا بوجهة نظرى . ولم يكن ذلك قبل ان سلمتها
بصندوق الذخيرة .

ومن المضحك اننى ، بعد أن تراجعتى وانصرفت ، عثرت فى

أحدى حقائب يدي على «مشط» ذخيرة كنت قد نسيت أمره
وطبعا لم أخبرها بذلك . . .

وعندئذ صب ميجريه قليلا من الكونياك ، من الزجاجاة التي
كانت لم تزل بيده ، في كأس سلمها للمترجم . ثم قفل راجعا الى
غرفة مكتبه ، التي تركها له جانفييه فور دخوله .

- سيريه ، لقد قلبت الأمر على كل وجوهه . وبدأت أوقن
بأنك لم تكن تنحرف بأقوالك عن الصدق كثيرا ، كما كنت أظن .
ويلاحظ أنه اسقط من حديثه كلمة «مسيو» ، كأنما كان
لهذه الساعات الطوال التي قضياها معا في غرفة واحدة ، اثرها
في رفع الكلفة بينهما . ولم يفعل الطبيب أكثر من أن يتأمله في
شك مريب .

- لم يكن من المفروض ان تختفى ماريا بغير الطريقة التي
اختلفت بها زوجتك الأولى . ان اختفاءها بالصورة التي حدثت
بها لم يكن في مصلحتك . فقد حرمت متاعها ، وأعلنت اعتزامها
السفر الى هولاندا . وكان في نيتها فعلا أن تستقل قطار الليل .

- ولست أدري ، هل كان من المفروض أن تموت بالمنزل أو
يتم ذلك بعد أن تغادره . ماذا تقول في هذا ؟

ولم يجب جيلوم سيريه بشيء . إلا أن تعابير وجهه نمت عن
اهتمامه الكبير بما سمع .

- وبمعنى أدق ، كان المفروض أن تموت ميتة طبيعية ، أي أن
تموت ميتة تبدو طبيعية . الأمر الذي لم يتم . لأنه لو تم فعلا
بهذه الصورة ما كان بك حاجة للتخلص من جثتها ومن متاعها .
- ثم هناك شيء آخر ، أحب أن أضيفه الى ما سبق . لقد
ودعتها وودعتك . فماذا دعاها بعد ذلك لأن تعود لغرفة مكتبك
حيث وجدت جثتها في وقت ما من تلك الليلة .

- اننى لا أطلب منك الإجابة عما أسألك به . كل ما أطلبه
منك أن تتبع ما أسرده على مسامعك . لقد كشفت الآن فقط
أن زوجتك كانت تملك مسدسا .

- وتجدنى على استعداد للتسليم بأنك أطلقت عليها النار دفاعا
عن النفس . ثم انتابك الذعر عندما تجسمت لك حقيقة ما جنت

يداك • فتركت الجثة حيث كانت ، واندفعت لتأني بسيارتك من
الجراج • وفي هذا الوقت شاهدتك حارسة المبنى كما أخبرتك
من قبل •

- وان ما أحاول أن أصسل اليه ، هو لماذا تغيرت خطط كل
منكما • لقد كنت في غرفة مكتبك • أليس كذلك ؟ •
- لا أذكر •

- سبق أن قررت ذلك •
- ربما •

- وتراني مقتنعا كل الاقناع بأن والدتك لم تكن بغرفتها •
بل كانت معك حيث كنت •
- لقد كانت في غرفتها •
- اذن ، فأنت تذكر ذلك ؟ •
- نعم •

- وبناء على ذلك ، فأنت تذكر أنك كنت بغرفة مكتبك ؟ كما
تذكر أنها لم تخرج لتبحث عن سيارة أجرة • لأنها لو كانت فعلت
ذلك في تلك الليلة ، لكنا وفقنا في الاهتداء الى السائق ويترتب
على ذلك ، أنها غيرت رأيها قبل أن تغادر المنزل واتجهت الى غرفة
مكتبك • فما هي علة ذلك ؟
- لا أعرف •

- اتعترف بأنها قابلتك في غرفة مكتبك حينئذ ؟ •
- لا •

- لقد جانبك التوفيق يا سيرته • ان الحالات التي لم تكشف
فيها جثث القتلى ، قليلة نادرة • وسنوفق في العثور على جثتها •
وعندئذ ، سيوضح من تشريح الجثة ، أن الوفاة كانت نتيجة
لاطلاق النار على صاحبها • وكل ما أتساءل عنه الآن ، هو ما اذا
يكان اطلاق النار عليها كان من مسدسها أو من مسدسك •

- ان محور هذه القضية يركز على هذه النقطة بالذات • فاذا
ما اتضح أن الرصاصة كانت من مسدسها ، أستتبع ذلك ، أنها

- لسبب ما ، قد جاءت اليك وقد اعتزمت أمرا • وقد يكون ذلك لتسوية موضوع ما أو لتهديدك وارغامك على التسليم بشيء ما •
- ويحتمل أن يكون المال هو الدافع على ذلك يا سيريه ؟ •
- ولم يعقب على هذا واكتفى يرفع كتفيه •

- وكان أن هاجمتها ، وانتزعت منها السلاح ، وضغطت على الزناد دون أن تتعمد ذلك • وهناك احتمال آخر • وذلك أنها قد هددت والدتك ولم تهددك أنت • انكراهية المرأة للمرأة لأشد عمقا من كراهية المرأة للرجل •

- واليك احتمال آخر • وذلك أن مسدسك لم يكن بغرفتك • حينئذ وضعته بعد ذلك ، بل كان في درج مكتبك ، وها هي ذى ماريًا تدخل الغرفة مسلحة تتوعدك وتهددك • ثم ها أنت تفتح الدرج وتبدأ بإطلاق النار •

- وفي كلتا الحالتين ، نجد أنك بمنجاسة من الحكم عليك بالإعدام • وذلك لانعدام ركن سسببق الاصرار • ولأن وجود المسدس في درج مكتبك أمر طبيعي •

- ومن حقا أن تدفع التهمة بانك كنت في حالة دفاع عن النفس •

- وليس أمامك لتدعيم دفاعك ، الا أن تشرح للمحكمة السبب الذي من أجله اندفعت زوجتك الى غرفة مكتبك ، في اللحظة التي كان يجب أن تغادر البيت فيها ، وفي يدها مسدس تشهره في وجهك •

ثم اعتدل في جلسته أخيرا ، وأشعل غليونه دون أن يرفع عينيه عن وجه الطبيب •

- ماذا ترى في ذلك ؟ •
- ان ما نحن فيه ، يمكن أن يستمر للأبد •
- أو ما زلت مصرا على موقفك ؟ •
- لقد أجبت عن كل أسئلتك صاغرا •
- ولكنك لم تذكر لي لماذا أطلقت النار عليها •
- لأنني لم أطلق النار عليها •

- أذن فوالدتك هي التي أطلقت النار عليها .
- ولا والدتي . لقد كانت في غرفتها بالطابق العلوي .
- بينما كنت تتشاجر مع زوجتك ؟ .
- لم يقم بيننا أى شجار .
- سيريه ! استمع الى ا لقد بذلت أقصى ما فى وسعى لأصل
الى السبب الذى من أجله توعدتك وزوجتك وهددتك .
- انها لم تهددنى .
- لا تلمسك بقولك هذا . فقد تندم على ما تصر عليه الآن .
- انك أنت من سيطلب استعمال الرأفة من المحلفين لأن حياتك أو
حياة والدتك كانت مهددة بالخطر .
- فابتسم سيريه ساخرا . لقد كان مكوددا متعبا . ولكنه لم
يفقد شيئا من ثقته بنفسه وسيطرته على أعصابه . وبدأ سستر
الظلام ينحسر قليلا عن صفحة السماء ، وبدأ الطقس يميل نحو
البرودة قليلا .
- وكان ميجريه أول من شعر بتغير الطقس ، فقام الى النافذة
يغلقها وهو يقول :
- لم يكن من مصلحتك أن تجد جثة بين يديك . أعنى جثة
لا يجب ان يراها أحد . هل تتابع ما اقول ؟ .
- لا .
- عندما توفيت زوجتك الأولى ، كان فى مقدورك أن ترسل
فى طلب الدكتور دوتيللو ليحرر شهادة الوفاة .
- وهذا ما كان سسيحدث عند وفاة ماريا . حيث كان من
المفروض أن تحدث الوفاة نتيجة لأسباب طبيعية . فقد كانت هي
الأخرى مريضة بالقلب . وما نجحت فيه مرة ، يمكن أن تنجح
فيه مرة أخرى .
- الا أنك فوجئت بما لم يكن فى الحسبان .
- لعلك قد تبينت ما أريد أن أصل اليه ؟ .
- أنا لم أقتلها .
- ولم تتخلص من جثتها وأمتعتها ومن معدات اللص أيضا ؟ .

- لم يكن هناك لصوص .
- قد أواجهك بهذا اللص بعد بضع ساعات .
- وهل تمكنت من أن تصل إليه ؟
- لقد تمكنا من رفع بصمات أصابعه من غرفة مكتبك . ولقد حرصت على إزالة كل أثر لها بتنظيف جميع قطع الأثاث بالغرفة تنظيفاً دقيقاً . وكما يحدث دائماً نسيت قطعة كشفنا بها آثار بصماته . واتضح أنه من أرباب السسوابق المعروفين لنا جيداً ويدعى الفريد جوسيوم - أو فريدى الحزين كما يطلقون عليه . ولقد أخبر زوجته بما رأى . وهى تجلس الآن بغرفة الانتظار مع والدتك . أما جوسيوم فهو موجود الآن ببلدة روان ، ولم يعد هناك مبرر لاختفائه .
- ولدينا من الأدلة أقوال حارسة المبنى التى شاهدتك تخرج بسيارتك من الجراج . وأقوال مندوب البيع الذى اشتريت منه لوحاً ثانياً من الزجاج فى الساعة الثامنة من صباح يوم الأربعاء .
- كما سيثبت من تقرير القسم الفنى أن سيارتك قد تم تنظيفها بعد هذا التاريخ .
- فما رأيك فى كل هذه الأدلة مجتمعة ؟
- وسأنفض يدي من هذه القضية ، بمجرد الكشف عن الجثة والأمتعة .
- وعندئذ ، قد تضطر لأن توضح للمسئولين ، الظروف التى اضطرتك للتخلص من هذه الجثة فوراً .
- ان فى هذه القضية ثغرة ما .
- ترى ما هى يا سيريه ؟
- وأخرج الرجل منديلاً من جيبه ، جفف به حبات العرق التى كانت تغطي جبهته ، دون أن يعقب بشيء على ما سمع .
- ان الساعة قد بلغت الثالثة والنصف صـسـباحاً . ولقد فاض بى وبدات أضيق ذرعاً بكل هذا . أما زلت مصراً على عدم التحدث بشيء ؟
- ليس لدى ما أقوله .

« حسنا ، قال ذلك ميجرية وهو ينهض عن مقعده • « لم
أكن أحب أن أخرج امرأة مسسلة • الا أنني أجد أنه لا مفر من
استجوابها • »

وكان ينتظر بعد تصريحه هذا ، أن يسمع احتجاجا أو يوجه
اليه اعتراض على ما أعلنه عن عزمه • بل كان الأمر على العكس
من ذلك تماما • حيث لم يحرك الطبيب ساكنا ، وبدا وكأنه
ارتاح لذلك وهدأت نفسه بما سمع •

- تولى أمره أنت يا جانففيه • أما أنا فسأعني بأمر الأم •

وكان قد نوى ذلك حقا في هذه المرة ، وعقد العزم على التفرغ
للأم • الا أنه لم يستطع أن يضع ذلك موضع التنفيذ فورا • حيث
ظهر فاشيه أمامه فجأة وقد اشتعل حماسا ، متابطا لفافة بها
شيء ما •

- لقد حصلت عليها يا سيدي الرئيس ! لقد اقتضى ذلك مني
بعض الجهد ، ولكن ها هي ذى أخيرا كما أعتقد •

ثم فض اللفافة ، ليكشف عما بها من قطع صغيرة من الطوب
الأحمر والأتربة المختلفة منه •
- وأين حصلت عليها ؟

- من رصيف بيلا نكورت ، تجاه جزيرة سيجوين • لفتة
بعثت في جميع موانئ التفريغ • ووجدت أن بيلا نكورت كانت
الميناء الوحيدة التي أفرغت بها حمولة من الطوب الأحمر أخيرا •
- ومتى كان ذلك ؟

- يوم الاثنين الماضي • وقد أبحرت السفينة يوم الثلاثاء
ظهرا • ولم يزل الطوب موجودا على الرصيف هناك ، حيث يعبت
به الأطفال ويفسدون قطعاً كثيرة منه ، تنائرت على مساحة كبيرة
من المكان • هل أحمل هذه الآثار الى مويرز ؟ •
- سأذهب أنا بنفسى •

وهر في طريقه بغرفة الانتظار ، حيث وجد المرأتين جالستين
في صمت مطبق • ولاحظ من حالتيهما أن جوا من البرود
يسودهما •

ودخل ميجريه المعمل ، حيث قدم اليه مويرز قنجانا من
القهوة كان فى أشد الحاجة اليه .
- أما زلت محتفظا بقطع الطوب ؟ وهل تحب أن تجرى عليها
مقارنة ومضاهاة ؟ .

واتضح أن اللون واحد ، وأن الخواص واحدة من أول نظرة
ثم ثبت بعد الفحص الدقيق بالمجهر وبالآلات الخاصة ، التشابه
التام بين تكوين كل من العينتين .
- هل نضيف بذلك دليلا جديدا ؟

- من المحتمل الى حد كبير . انها كما ظهر لى متشابهة فى
كل نواحيها . وحتى يمكن أن أكتب تقريرى ، يجب أن أقوم
بتحليلها . ولن يستغرق هذا منى أكثر من نصف ساعة .

وكان الوقت متأخرا ، لا يسمح بالقاء الشباك بنهر السين
لاستخراج ما قد يكون مستقرا بقاعه . كما أنه لن يتيسر لداورية
النهر أن تكلف أحد الغواصين القيام بهذه المهمة قبل الشروق .
وأن يسمح الوقت بذلك ، ويتم انتشال جثة ماريا أو شىء من
أمتعتها أو صندوق معدات اللص ، فإن الدائرة ستضيق وتتم
فصولها .

- هالو ! داورية النهر ؟ ميجريه يتحدث اليكم .
وكان ميجريه لم يزل على حاله ، محنقا نائر الأعصاب .

- يقتضى الأمر أن يتخذ اللازم للبحث فى السين ، بأسرع
ما يمكن ، عن أشياء يجب أن يتم انتشالها . وذلك أمام رصيف
بيلا نكورت فى المكان الذى أفرغت فيه إحدى سفن الشحن
بحمولتها حديثا .

- فى مدى ساعة من الآن ، سينتشر ضوء النهار .
ماذا ينتظر بعد ذلك ؟ ان المحلفين لن يعوزهم الدليل بعد
كل هذا ليقرروا ادانة جيلوم سيريه ، مهما أصر على انكاره .
وأمسك ميجريه بزجاجة الكونياك وشرب منها جرعة أخرى ، ثم
أخرج الى الدهليز فى طريقه الى غرفة الانتظار ، وما أن بلغها حتى
تعمد أن يفتح بابها على مصراعيه بعنف وحدة .

وخيل لارنستين أنه قادم من أجلها ، فهبت واقفة • أما مدام سيريه فظلت جالسة في مكانها لا تتحرك •

فتوجه ميجرية بكلامه الى الأخيرة قائلاً :

— هل يمكن أن تصحبينى لحظة ؟ •

ثم ولاهما ظهره وخرج من الغرفة الى احدى الغرف الخالية حيث تبعته السيدة سيريه •

— تفضلى بالجلوس •

وبدا يدور فى الغرفة ، وهسو يلقى بنظراته من حين لآخر

لاحية السيدة العجوز •

— ليس من طبيعه خلقى أن أحمل أبناء سيئة ، بهذا بدأ

حديثه أخيراً • وبالذات اذا ما كان ذلك لسيدة فى سنك ا مدام

سيريه ، هل سبق لك أن شكوت مرضاً أو علة ما ا

— لم يسبق لى أن احتجت لاستشارة طبيب ، الا مرة واحدة

عندما تعرضنا جميعاً لدوار البحر فى اثناء عبورنا المانش فى

إحدى السفن •

— معنى ذلك أنك لا تقاسين من مرض من أمراض القلب ؟ •

— لا •

— اظن أن ابنك يعانى ذلك ؟ •

— نعم • فقلبه متضخم •

— لقد قتل زوجته ا ألقى فى وجهها بتصريحه هذا وهو يحدق

بعينيه فى وجهها •

— وهل اعترف لك بذلك ؟

وعزف عن انتهاج طريقة تزييف الاعتراف القديمة •

— انه ينكر ذلك • الا أن هذا لن يفيدك بشيء • فلدينا ما يكفى

من أدلة •

— على أنه هو القاتل ؟

— على أنه أطلق النار على ماريـا فى غرفة مكتبة •

ولم تحرك ساكناً بأكثر من ازدياد ملامحها جُموداً • حتى

لخيل لميجريه أنها توقفت عن التنفس •

وما هي تلك الأدلة ؟

- لقد اهتدينا الى المكان الذى القى فيه بجثة زوجته بالنهن
وبع امتعتها .

- آه !

ولم تنطق بأكثر من ذلك • وجلست تنتظر فى هدوء ، عاقدة
بها بين يديها على ثوبها الأسود •

- ان ولدك يرفض تبرير جرمه بحق الدفاع الشرعى • وأرى
أنه يرتكب بهذا خطأ كبيرا فى حق نفسه • لأننى مقتنع تمام
الاقتناع بأن زوجته عندما أقبلت عليه بغرفة مكثيه كانت تحمل
سلاحا بيدها بقصد الاضرار به .

- ولماذا ؟

- هذا هو ما أسالك أنت عنه •

- ليست عندى أية فكرة عن ذلك •

- أين كنت حينئذ ؟

- فى غرفتي كما سبق أن أخبرتك •

- ألم تسمعى شيئا يثير انتباهك ؟

- لم أسمع غير باب يغلق • ثم أعقبه صوت محرك سيارة
فى الشارع •

- سيارة الأجرة ؟

- لقد اعتقدت ذلك ، لأن زوجة ابنى كانت قد قالت أنها

بسبيل الذهاب لاستحضار سيارة أجرة •

- ولكنك لست واثقة من ذلك ؟ فمن المحتمل أن تكون هذه

السيارة سيارة خاصة ؟

- أنا لم أرها حتى يمكن أن أقرر ذلك •

- مما لا يستبعد معه أن تكون هذه السيارة هي سيارة

ابنك ؟

- لقد أقسم لى مؤكدا أنه لم يخرج بها •

- ألا تتبينين التعارض الصارخ بين ما تقريرينه الآن ، وبين

ما سبق أن أدليت به لى ، عندما جئت الى هنا بمحض ارادتك ؟

- لا أتبين ذلك ؟
- لقد أكدت لي حينئذ أن زوجة ابنك رحلت في سيارة
أجرة .
- ولازلت أعتقد أن ذلك هو ما حدث .
- ولكنك لست على يقين من ذلك . وما هو مدى ما تعرفينه
عن حادث الشروع في السرقة ؟
- لم يسبق لي أن رأيت ما يثبت ذلك .
- في أية ساعة كنت بالطابق الأرضي صباح الأربعاء ؟
- حوالي السادسة والنصف .
- وهل دخلت غرفة المكتب ؟
- لم أدخلها مباشرة . فكان علي أن أعد القهوة ؟
- هل قمت بفتح النوافذ ؟
- نعم . أعتقد ذلك .
- وكان ذلك قبل أن يهبط ولدك من الطابق العلوي ؟
- أرجح هذا .
- هل تقسمين علي ما تقولين ؟
- ضع نفسك في مكاني يا ميسيو ميجريه . . لقد مرت
أيومين ، وجهت لي في خلالهما مختلف الأسئلة ، حتى لم أعد
أدرى من أمر نفسي شيئاً . وأمضيت الساعات الطوال جالسة
بغرفة الانتظار ، حتى نال مني التعب وكلت قواي .
- وماذا أتى بك الليلة إلى هنا ؟
- أليس من الطبيعي أن تتبع أم ابنها في مثل هذه الظروف ؟
- انني لم أفترق عنه طوال حياتي . وقد يكون بحاجة إلي .
- وهل ستتبعينه إلى السجن ؟
- لا أفهم ما تعنيه بقولك هذا . فأنني لا يمكن أن أصدق أن . . .
- اذن ، اليك ما أعني بصراحة : إذا ما وجهت التهمة إلي
ولدي ، فهل أنت على استعداد أن تشاركه في تحمل مسؤولية
بما فعل ؟
- ولكنه ما دام لم يرتكب اثماً .

- وهل أنت واثقة من ذلك ؟
- ولماذا يقتل زوجته ؟
- انك تتجنبين الرد الصريح . هل انت مقتنعة تمام الاقتناع بأنه لم يقتلها ؟
- بقدر ما لدى من ظواهر الامور .
- الا يوجد احتمال بأنه قد فعل ذلك ؟
- لم يكن هنالك ما يدفعه لارتكاب ذلك .
- ولكنه ارتكب ما ارتكبه فعلا !
- ألقى بذلك على مسامعها محتدا وهو يحرق في وجهها .
- وراها تجلس في مكانها وكأنها على حافة هاوية ، تخشى عندها الحركة فتتهوى بها . ثم تنهدت قائلة :
- آه ! وبعدها فتحت حقيبة يدها وأخرجت منها منديلا .
- لا لأنها كانت تبكي ، بل مرت به على وجهها وهي تقول :
- هل لي في كوب ماء ؟
- فأمر لها بما طلبت . ثم استطرده قائلا :
- بمجرد وصول النائب العام الى دار العدالة ، سسسيصتو قرارا بتوجيه التهمة لولدك وأصارك القول . بأنه ليست لديه أقل فرصة ليدفع عن نفسه هذا الاتهام .
- أتعنى أنه ...
- أنه في طريقه الى الجيلوتين (المقصلة) .
- ومن المحتمل ان ميجريه كان يتوقع أنه سيغنى عليها بمجرد أن يلقى في وجهها بهذا التصريح . الا أن كل ما حدث أنها أصبحت كالتمثال على مقعدها ، وكأنها قطعة من الحجر الصلب الأصم ، قد وثقت عيناه في محجريهما .
- وسنعمل على استخراج جثة زوجته الأولى من قبرها .
- ولعلك تعرفين أنه يمكن الكشف عن آثار بعض السموم في بقايا الهيكل العظمي .
- وما هو الباعث على قتلها ؟ ان هذا لا يمكن تصوره على الإطلاق . بل هو أمر أبعد ما يكون عن الحقيقة . ولست أدري

لماذا تصر على أن تخبرني بذلك • غير أنني أرفض تصديق كل ما حدثتني به • دعني أتصل به وأتحدث معه على انفراد ، وأنا أؤكد لك بأنني سأصل معه الى الحقيقة •

- هل كنت ملازمة لغرفتك طوال يوم الثلاثاء مساء ؟ •
- نعم •

- ألم تغادري غرفتك بالطابق العلوي متجهة الى الطابق الأرضي ؟ •

- لم أغادرها • ولماذا كنت أكلف نفسي مشقة ذلك ، وقد قررت هذه المرأة أن تتركنا أخيرا ؟

واتجه ميجريه الى النافذة حيث أسند رأسه على زجاجها ليخفف من حدة ما يغلي به وألهب جبهته • ثم اتجه الى الغرفة المجاورة ، حيث أفرغ ما تبقى من زجاجة الكونياك في جوفه • فلما قفل راجعا ، اتخذ لنفسه هيئة جيلوم سيريه بخطواته الثقيلة ونظراته العنيدة ، التي تتحدى من يقف في طريقه •

الفصل التاسع

ويجلس على مقعد لم يكن مقعده الأصلي ، وقد ارتكز بمرفقيه على المنضدة أمامه ، وثبت غليونه في فمه ، وركز عينيه على السيدة المعجوز التي شبهها بالأم الكبرى •

- ان ابنك ، يا مدام سيريه ، لم يقتل أية زوجة من الزوجتين وكان ينطق بهذه الكلمات متعمدا أن يفصل ما بينها واحدة واحدة •

فزوت ما بين حاجبيها دهشة ، وكأنه لم يسعدا أن تسمع ذلك •

- ولم يقتل والده أيضا ، هذا ما أضافه متندا •
- ماذا تراك •

- صمتا ! ••• لا تؤاخذيني • سسنتهى من ذلك بأسرع ما يمكن •

ثم مال الى الأمام مستطردا :

لن نشتغل أنفسنا بالأدلة الآن • فان ذلك له وقته •
ثم اعتدل في جلسته مواصلا حديثه :

ولن نناقش الآن قضية زوجك • وسنناقش قضية زوجة ابنك
الأولى التي ماتت مسمومة كما اعتقد • بل سأذهب لأبسط من
ذلك • فأنا مقتنع تمام الاقتناع أن ما أدى الى وفاتها لم يكن سم
الزونيخ أو غيره من سموم قوية المفعول تستعمل في مثل هذه
الحالات • وبهذه المناسبة ، أحب أن أقرر لك ، يا مدام سيريه ، أنه
من بين كل عشر جرائم قتل مما يرتكبها النساء ، يثبت أن تسعا
منها أستعمل فيها السم كسلاح للجريمة •

- ان زوجة ابنك الأولى ، وكذلك الثانية ، كانت تعاني من
مرض القلب • وهكذا كان الحال مع زوجك •

- وهناك بعض الأدوية لا تؤثر بشيء في الأوصحاء الأقوياء •
ولكنها في الوقت نفسه تعتبر مصدر هلاك لذوي القلوب الضعيفة
ولعل ماريا هي التي زودتنا بمفتاح هذه المشكلة في إحدى رسائلها
التي كانت تكتبها لصديقتها • حيث تحدثت فيها عن رحلة قمتم
بها الى انجلترا ، وعمما تعرضتم له جميعا من دوار البحر • الأمر
الذي استلزم عرضكم على طبيب السفينة •

- فماذا ترين مما أشار به من علاج ؟ •
- لست أدري •

- كيف تقولين ذلك ؟ ان الجميع يعرفون أن ما يستعمل في
مثل هذه الحالات هو الأتروبين • ومن المسلم به ان جرعة كبيرة
من الأتروبين تكفى لقتل شخص مريض بقلبه •
- هل تعنى بقولك هذا أن زوجي •••

- لا مجال لذلك الآن ، ولو أننا سنعود لهذا الموضوع في
حينه • حتى ولو صعب الأمر علينا • ولقد وصل الى علمي أن
زوجك دأب في آخر أيامه ، على أن يبعثر أمواله يمينا ويسارا في
حياة ماجنة صاخبة • وكنت ، يا مدام سيريه ، تخشين شبح الفقر
دائما •

= لم تكن خشية الفقر من أجل بل من أجل ولدى • وذلك
لا يعنى أننى كنت ألبأ الى •

- وبعد مرور فترة من الزمن ، تزوج ابنك • وأصبح فى
البيت عنصر جديد • امرأة أخرى تحمل لقبك ما بين عشية وضحاها
ولها من الحقوق مثل مالك •

فزمت شفقتها وتركته يستمر فى حديثه :

- وهذه المرأة ، التى كانت مريضة بقلبها هى الأخرى ، كانت
تملك ثروة طائلة ، ثروة أكثر مما يملكه ابنك ، ومما يملكه
آل سيريه مجتمعين •

- وتعتقد أننى دسست لها السسم ، كما قتلت زوجي من
قبل ؟ •

- نعم •

فأرسلت ضحكة مكبوتة ، ثم قالت :

- مما يستتبع حتما أننى قتلت زوجة ابنى الثانية بالسسم ؟

= وهذه الزوجة كانت تعتمز الرحيل ، بعد أن أعيثها الحيل ،
وحاولت أن تتقبل وضعها فى هذا البيت ، الذى تعامل فيه
معاملة الغرباء • لقد كانت غريبة فى بيتها • وكان من الطبيعى
أنها ستأخذ أموالها معها • كما كان من المصادفات العجيبة ، أنها
هى الأخرى كانت تشكو من لفظ فى القلب • أتريين ؟ لقد عجبنته
من بادىء الأمر وتساءلت عن السر فى اختفاء جثتها • إذ أنها لو
إكانت قد ماتت مسمومة ، فما كان عليك إلا أن ترسلنى فى استدعاء
طبيب ، تشرحين له حالتها الصحية ، فيحرر بناء على ذلك شهادة
بوفاتها على أثر نوبة قلبية • وليس بمستبعد أن تفاجئها هذه النوبة
أقيما بعد بالسيارة أو بالمحطة أو بالقطار •

- انك تثق بنفسك الى أبعد الحدود يا مسيو ميجريه •

= وأعلم أنه حدث ما اضطر ولدك أن يطلق النار على زوجته
ولنفترض معا أن ماريا عندما كانت فى طريقها للبحث عن سيارة

أجرة أو لطلب احداها تليفونيا ، شعرت ببعض الأعراض الخاصة
التي أثارت شكوكها .

ولما كانت هذه المرأة ، التي عاشت معكما تحت سقف
واحد ، تعرفكما خير المعرفة . ولما كانت هذه المرأة واسعة
الاطلاع ، مما لا أستبعد معه أنه كان لها بعض الإلمام بالنسوانجى
الطبية .

فقد أتاح لها ذلك أن تتحقق من أنه قد دس لها السم ، الأمر
الذى دفعها الى دخول غرفة مكتب زوجها حيث كنت معه هناك .
- وعلى أى أساس تبني نظريتك ، عن مصداقة وجودى
معه ؟ .

- لأنها ، ولسوء حظها ، كانت قد قررت فيما بينها وبين
نفسها ، أن تلقى باللوم عليك . لو كنت بغرفتك الخاصة ،
لوجدتها تصعد الى حيث كنت .

- ولست على يقين مما وقع بعد ذلك . هل شهرت فى
وجهيكما مسندسها ، أم أنها حاولت الاتصال تليفونيا بالشرطة .

الا أن ما أعرفه جيدا ، انه لم يكن هناك مقر من اطلاق النساء
عليها . وتأسيسا على ما قالت . . .

لقد ذكرت لك وجهة نظرى . وشرحت لك أن ولسدك هو،
الذى قام باطلاق النار ، أو بمعنى أدق ، هو الذى أتم ما بدأته .

وبدأت خيوط الفجر ، تنتشر على صفحة السماء . ونفذ
شعاعها الى الغرفة ليظهر مع ضوء المصابيح الكهربائية ، ما ارتسم
على وجهيهما من خطوط الاجهاد . ثم سمعا رنين التليفون .

- أهو انت ياسيدى الرئيس ؟ لقد انتهيت من عملية التحليل
ان آثار الطوب الأحمر التي رفعناها من السيارة هي من نفس النوع
الموجود فى بييلانكورت بكل تأكيد .

- يمكنك أن تتصرف . فلم يعد هناك عمل لك .
ومرة أخرى نهض عن مقعده وأخذ يدور بالغرفة .

- ان ولدك ، يا مدام سيريه ، مصر على أن يتحمل كل ما هنالك
من مسؤولية : ولم يعد أمامي وسيلة ما لأقنعه بالعدول عن موقفه
هذا . وارى أنه مادام قد استطاع ألا يتحدث بشيء طوال هذه
المدة ، فإنه قادر على التماذى فى ذلك الى مالا نهاية . اللهم الا -
- اللهم الا . . . 9

- لست أدري . لقد كنت أفكر . لقد تصادفت رجلا فى قوة
احتماله منذ عامين . وبعد أن ظل هذا الرجل جالسا
فى غرفة مكتبى طوال خمس عشرة ساعة ، لم أفز منه بطائل . ثم
دفع بمصراعى النافذة فى هياج غاضب .
- وبعد سبع وعشرين ساعة ونصف الساعة بدأ ينهار .
- وهل اعترف ؟

- كان اعترافه فيضا لم يتوقف ، حتى أفرغ كل ما فى جعبته
ليتخلص مما أثقل كاهله .

- أنا لم أدس السم لاحد .

- اننا لا ننتظر منك ردا .

- هل تنتظرون ذلك من ولدى ؟

- نعم . فهو مقتنع تمام الاقتناع بأنك لم تفعل كل ذلك الا
من أجله . وكان ذلك منك حرصا على تأمين مستقبله المالى من
ناحية ، وبدافع من شسنعور الغيرة الذى يأكل قلبك من ناحية
أخرى .

ووجد نفسه مضطرا أن يقساوم تلك الرغبة الجامحة فى أن
يرفع يده ويصفعها بالرغم من شيخوختها ، بعد ما اعتمل فى
نفسه على اثر ما فوجىء به من انفراج قمها بإبتسامة كريهة
هلوتوية . ثم قال متندرا :

- وليس فى ذلك نصيب من الصحة !

ثم اقترب منها ، وحدث بعينيه فى عينيها ، ولفحت أنفاسه
وجيها . وقال لها محتدا وهو يضغط على أسنانه :

- ان ذلك لم يكن من أجله ، بل من أجلك أنت ؟ انك لم تقتلى
أحدا من أجله ، ولم تكلفى نفسك عناء المجيء الى هنا ، الا خوفا
من أن يتكلم .

ونحاولت أن تبتعد عنه ، وأن تتحرك بمقعدها الى الخلف »
لتنخلص من نظراته القاسية المتوعدة . وواصل حملته وهو
يزداد اقترابا منها :

« فليذهب الى السجن ، أو فليطر رأسه تحت المقصلة »
ان كل هذا لا يعنك في كثير أو في قليل ، ما دمت آمنة لم
يمسكك سوء . انك تأملين في حياصة طويلة ، وتثقين بأنه لم
يزل أمامك من الاعوام الكثير ، تقضينها في بيتك ، لتتمتعى بالنظر
الى أموالك وبلذة الاحساس بها بين أصابعك وأنت تحصينها .

وتملكها خوف شديد . وكادت تصرخ رعبا . وعلى حين غرة »
وبحركة عنيفة سريعة ، اغتصب ليجريه من بين يديها ، حقيبة
يدها التي كانت تقبض عليها بأصابعها في حرص وتصميم »
لاندفعت لتسترجعها منه وهي تصرخ .

« مكانك . لا تتحركي .

ثم أسرع بفتح الحقيبة التي وجد من بين محتوياتها ، ورقة
مطوية على قرصين من الأقراص البيضاء .

وعم السكون المكان ، وران عليه الهدوء ، واصبحت الغرفة
التي يجلسان بها ، أقرب ما تكون الى كنيسة أو الى دير من
الأديرة . وجلس ميجريه مسترخيا على مقعده ، كمن يهجع بعد
شوط طويل بعيد المدى . ثم ضغط على زر الجرس الذي أمامه .

وما أن فتح الباب ، حتى قال متثددا ، دون أن ينظر الى رجل
المباحث الذي أقبل تلبية للنداء :

« قل لجانفبيه أن يتوقف عن استجوابه .

ولما لاحظ أن الرجل لم يتحرك من مكانه ، وظل واقفا تعلوه
الدهشة قال له : لقد انتهى كل شيء باعترافها .

« أنا لم أعترف بشيء ما .

فانتظر حتى انصرف رجل المباحث وأغلق الباب »

« الأمر عندي سواء . فقد كان بوسعي أن أمضي في الشوط
حتى نهايته ، وأدعك تقابلين ولدك المقابلة الخاصة التي كنت

ترمين اليها • ألا تعتقدين أنك أزهقت من الأرواح ما فيه الكفاية
لامرأة فى سنك •

- اتعنى أننى كنت •••

وكان يقلب القرصين بين أصابعه •

- كنت ستقدمين له الدواء ، أو ما يعتقد أنه دواء ، فتأمنين

بذلك جانبه ، وتطمئنين أنه لن يستطيع الكلام الى الأبد •

وكانت أشعة الشمس قد ملأت أرجاء الغرفة ، وانتشر ضوء

النهار ثم سمع رنين التليفون فرفع السماعة قائلاً :

- المفتش ميجريه •

- هنسا داورية النهر • نتحدث من بيلانكورت • لقد وجة

الغطاس صندوقاً شديداً الثقيل •

- ستعثرون على الباقي أيضاً !

ثم وجد أمامه جانفييه واقفاً بالباب وقد علتة الدهشة •

- قيل لى :

- فلتصطحبها الى غرف الحجز • ومعها الرجل أيضاً كشريك •

وساقابل المدعى العام بمجرد حضوره الى مكتبه •

فلم يعد به حاجة اليهما بعد • فقد انتهى من مهمته مع الأم

ومع الابن على حد سواء • ثم أمر القائم بالترجمة •

- يمكنك أن تعود الى منزلك •

- هل انتهى كل شيء ؟ •

- بالنسبة لعمل اليوم •

ولما عاد الى غرفة مكتبه ، لم يجد الطبيب بها ، ولاحظ أن

منقضة السجائر ملأى بأعقاب السيجار الأسود الذى يدخنه

سيريه • وكاد يغلبه النعاس وهو على مقعده • وفجأة تذكر أن

لوفتى لم تزل فى غرفة الانتظار •

وهناك وجدها تغط فى نومها • فأمسك بها من كتفها

ليوقظها • فاعتدلت فى جلستها ، ورفعت يدها بحركة غريزية

تصلح من وضع قبعتها الخضراء •

- انتهى كل شيء • عليك بالانصراف •
- هل اعترف ؟
- بل هي التي اعترفت •
- ماذا تقول ؟ أو هي تلك المرأة العجوز التي -
- فيما بعد ، فيما بعد ا
- وبعد أن كان في طريقه الى خارج الغرفة ، توقف واستدار اليها وقد تملكه الشعور بالندم قائلا :
- شكرا ا وعندما يعود ألفريد تنصحينه بأن -
- وماذا يجدي النصيح معه ؟ ان الرجل الحزين لن يقلع عن السطو على الخزائن التي سبق له صنعها كما أنه لن يتنازل عما يعتقد بان كل مرة يفعل فيها ذلك ستكون الأخيرة ، وأنها هي التي ستمكنه من تحقيق أمله في اعتزال هذا العمل والاختلاص الى الراحة في الريف •
- وقد روعى عند الحكم على مدام سيريه كبر سنها • وتركت ساحة المحكمة ، وقد تملكها شعور بأنها قد قدر لها أخيرا أن تبسط جناحها على سجن النساء ، وأن توجهن الى حياة منتظمة ورتيبة •
- وبعد ذلك بعامين ، قضاها ابنا في سجن فريسنيس •
- اتجه فورا الى منزله بشارع دي لافيرم ، حيث عاد الى حياته الأولى ، ولم ينقطع عن القيام بجولته المسائية •
- ودأب فيما دأب عليه ، على التوجه في كل ليلة الى المقهى •
- ليحتسى النبيذ الأحمر كما كان يفعل دائما • ولم ينس أن ينظر يمنا ويسرة قبل دخوله المقهى بحكم العادة •

« تمّت »

هيئة قناة السويس

تعلم هيئة قناة السويس « ادارة الأشغال » عن طرح أعمال الصيانة والتشغيل السنوية المبينة فيما يلي ويمكن الحصول على نسخة من مستندات كل عملية من مكتب المناقصات والعقود بإدارة الأشغال بالإسماعيلية نظير دفع الرسم المقرر قرين كل عملية وتقدم المطايات داخل مطروفين يختم الداخلى منهما بالشمع الأحمر ويذكر به اسم العملية وتاريخ فتح المظاريف ويعنون المطروف الخارجى باسم السيد رئيس وعضو مجلس الادارة المنتدب هيئة قناة السويس « ادارة الأشغال » بالإسماعيلية .

رقم العملية	تاريخ فتح المظاريف	ثمن المستندات	مصاريف البريد	قيمة التأمين الابتدائي
صيانة المباني والتحسينات البسيطة ببور سعيد وبور فؤاد والإسماعيلية	الأثنين ٦٤/٥/١١	جنيه ١٠	٧٥٠ ر.	١٠٠٠ جنيه عن كل قسم
صيانة السخانات وأفران البوتاجاز ببور سعيد والإسماعيلية وبور توفيق	الأثنين ٦٤/٥/١٨	١	١٠٠ ر.	٥٠ جنيه عن كل قسم
صيانة واصلاح الآلات الكاتبة والحاسبة ببور سعيد والإسماعيلية وبور توفيق	الأثنين ٦٤/٥/٢٥	١	١٠٠ ر.	٥٠ جنيه عن كل قسم
تنفيذ أعمال مختلفة بإدخال المنطقة الجمركية ببور سعيد « أعمال صيانة الميناء »	الأثنين ٦٤/٦/١	٢	٢٠٠ ر.	٥٠٠ جنيه
كسح خزانات التحليل بمباني الهيئة بالإسماعيلية	الأربعاء ٦٤/٥/٢٠	١	١٠٠ ر.	٥٠ جنيه
توريد مال خشنة وناعمة للمحاجر الهيئة	الأربعاء ٦٤/٥/٢٧	١	١٠٠ ر.	٥٠ جنيه



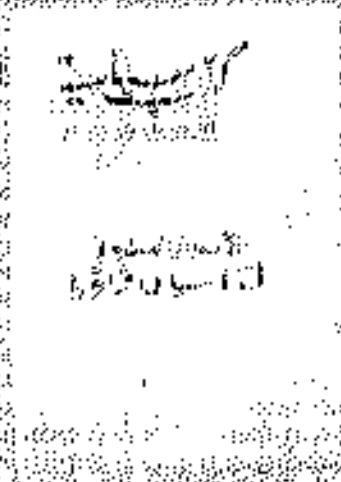
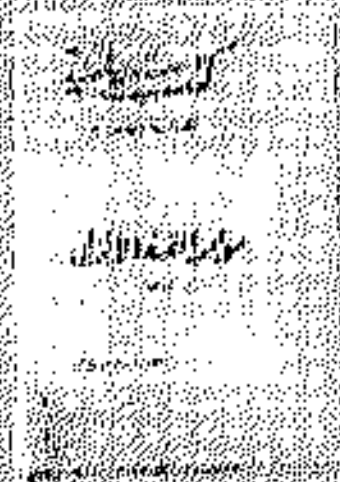
الدار القومية للطباعة والنشر

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الدار القومية للطباعة والنشر



تعمل على تحقيق الثورة الثقافية التي نأري بها الرنين بحمال عبد الناصر



القائمة

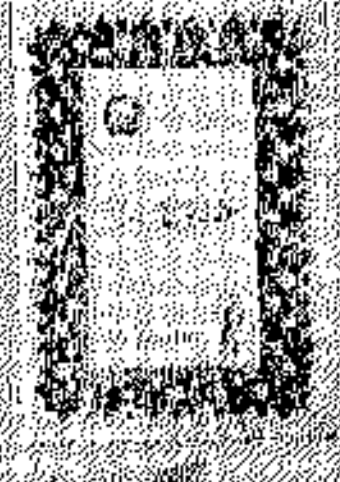
مركز عالمي للإنتاج الثقافي
كتاب كل ست ساعات



Bibliotheca Alexandrina



0540421



كتبات التوزيع

نيويورك لندن
الجزائر بيروت
طرابلس بغداد
الخرطوم الإسكندرية
القاهرة

